تحذير العباد
من خطورة الإلحاد

أحمد خالد الطحان

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تحذير العباد

من خطورة الإلحاد

دراسة تأصيلية؛ تُبَين أصل الإلحاد وأسبابه وأنواعه

وعقائد الملحدين، وسبل الوقاية والعلاج

إعـداد

أحمد خـالد الطحان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(الأنعام 164/162)

قال الإمام الشافعي رحمه الله

إن للعقل حدًا ينتهي إليه، كما أن للبصر حدًا ينتهي إليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدمة

الحمد لله الذي خلق العباد، وأبان لهم صحيح الاعتقاد، وأمرهم بالتوحيد الخالص والإفراد، وحَذَّرهم من دُرُوب الشرك والإلحاد، تعالى سبحانه عن الشُّرَكاء الأنْدَاد، واتخاذ الصاحبة والأولاد، والصلاة على النبي المصطفي والرسول المجتبى خير العباد، الهادي إلى سبيل الرشاد، وأول شفيع ومُشفَّع يوم المعاد، وعلى آله وصحبه أفضل الصحب وخير الأجناد، فُرسان الإسلام الأجْواد، ورهبان الليل العُبَّاد، الذين شادوا محاتد الأمجاد، وفاقوا مفاخر الملوك الأسياد، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم التناد، يوم يقوم الأشهاد.

أما بعد:

ففي زمن الفِتَن يكون العلم خير زاد، ويُلْتمس لدى الحاضر والباد، وتُبذل في سبيله حُبَيْبات الأكباد، وشِغَاف الفؤاد، وقلائد الأجياد، وفي عصر التِّقانة والمعلومات، لم يكن يخطر ببالٍ أن يَعُم الوَبَال وينتشر الفساد، حتى نسمع في بلاد المسلمين من يَنْبُو عن الوحدانية، بل ويدعو إلى التَّغَوُّل في الزندقة والإلحاد، تحت شعارات.. بل هي للكفر رايات: التعددية، والحرية، والشك في وجود خالق الأرض والسماوات.. زعموا..خابوا وخسروا كل مراد !!

في زمان العلم وتزايد أدلة وإثباتات وجود الله تعالى بالعقل -لذوي العقل- تُلهينا هذه الصَرَخات الصَّارِخَات عن كثير الآهات والأنّات التي تنال من جسد الأمة المسلمة وتهارش وِحْدتها في مختلف الوِهَاد والبقاع، وشتى الآفاق والأصْقَاع.

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: 19)، لهذا كان من المهم أن تكون وقفة جادة لمعرفة الإلحاد معنىً ومضمونا، ووقاية وعلاجا، وهذا البحث يهتم بالجانب التأصيلي لهذا الموضوع المهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومعرفة أصل الإلحاد وجذوره تفيد في توصيف الحالة الإلحادية وتشخيصها بدقة وموضوعية، وبالتالي في علاجها، كما أن معرفة أنواع الإلحاد المتعددة يجعلنا لا نتعامل معه بشكل سطحي، أما الشبهات فقد انبرى لها خلق كثير منذ قديم الزمان وإن كان الأمر يحتاج إلى مزيد التعاون بين العلماء والجهات العلمية لمواجهة هذا الداء العُضال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطة البحث

يشتمل البحث على: مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة

المقدمة: وتشتمل على:

1- أهمية الموضوع وخطورته

2- خطة البحث

التمهيد: تحرير معنى الإلحاد

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الإلحاد

المطلب الثاني: فوائد من التعريف

المبحث الأول: أنواع الإلحاد

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: إلحاد التكبر

المطلب الثاني: إلحاد الإشراك

المطلب الثالث: إلحاد الفكر

المطلب الرابع: إلحاد العقل

المطلب الخامس: إلحاد الجهل والرياء

المبحث الثاني: الإلحاد المعاصر وبواعثه:

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: العلمانية والإلحاد

المطلب الثاني: الماسونية والإلحاد

المبحث الثالث: عقائد الملحدين وأركان الإلحاد

ويشتمل على مطلبين:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الأول: عقائد الملحدين

المطلب الثاني: أركان الإلحاد الأساسية.

المبحث الرابع: أساسيات مواجهة الإلحاد

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الوقاية من الإلحاد

المطلب الثاني: أساسيات الرد على الملحدين

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

بقي أخيرا الإشارة إلى عدم الحديث في بعض الموضوعات ذات الصلة طلبا للإيجاز، ومنعا للإسهاب [1]، وقبل الشروع في الموضوع أقول لك ما قال الحافظ ابن حجر لقارئه:

يا سيدا طالِعْهُ إن راقَ معناه فَعُدْ

وافتح له باب الرِّضَا وإن تجِدْ عَيْبا فَسُدْ

هذا وأسأل المولى في عُلاه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه نِعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على النبي محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

([1]) مثل موضوعات: التنصير، والاستشراق، والاحتلال (الاستعمار)، وهي موضوعات ذات صلة وثيقة بموضوعنا هذا إلا أن بحوثا أخرى تناولتها بالبحث والدراسة المستفيضة، ومن أهمها كتاب: أباطيل وأسمار للأستاذ محمود محمد شاكر، وله أيضا: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، وكتاب أجنحة المكر الثلاثة للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، وله أيضا غزو في الصميم ..وغيرها كثير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التمهيد: تحرير معنى الإلحاد

المطلب الأول: تعريف الإلحاد

تحرير المعنى نصف الفهم، لذا من المهم تحديد مفهوم اللفظ لغة واصطلاحا، وكلمة الإلحاد كلمة عربية فصيحة، قال ابن فارس: اللام والحاء والدال أصلٌ يدلُّ على ميل عن استقامة. يقال: ألْحَدَ الرجل، إذ مال عن طريقة الحقِّ والإيمان. وسُمِّي اللَّحدُ لأنه مائل في أحد جانبي الجَدَث. يقال: لحَدْت الميِّتَ وألحدت. والمُلْتَحَد: الملجأ، سمِّي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه.[1]

قال الأزهري: معنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد. وقال الليث: ألحد في الحرم إذا ترك القصد فيما أمر به ومال إلى الظلم وأنشد:

لما رأى الملحد حين ألحما صواعق الحجاج يمطرن دما[2]

فالإلْحَاد: العُدُول عن الاستقامة والانحراف عنها

وأَلْحَدْتُ: مَارَيْتُ وجَادَلْتُ، قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ (الحج 25) أَي انحرافا بظلم، وقد أَلْحَد في الحَرَمِ: تَرَكَ القَصْدَ فيما أُمِرَ به ومالَ إلى الظلم، وألحد في الحرم: أشرك بالله تعالى، وقيل: الإلحاد فيه: الشك في الله، وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء، ولاحد فلان فلانا: اعوج كل منهما على صاحبه ومالا عن القصد. والملتحد: الملتجأ والملجأ، أي لأن اللاجئ يميل إليه، قال تعالى: "ولن أجد من دونه ملتحدا" [3]

---

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 236)

(2) ينظر: تهذيب اللغة الأزهري (2/ 73)

(3) ينظر: المخصص. لابن سيده (2/ 78)، تاج العروس من جواهر القاموس (9/ 135)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثاني: فوائد من التعريف

إذا كان التعريف العام للإلحاد يعني: الميل والعدول عن الطريق القويم، فهذا يعني أن كل تَرْكٍ للدين وهَجْر لأحكامه هو نوع إلحاد، ومن ثم فالإلحاد يشمل كل أنواع الكفر والشِّرك بالله تعالى، والميل والحيدة عن أوامره وأحكامه جل وعلا، والتجرؤ علي نواهيه سبحانه.

وهذا المعني هو الذي جاء في كتاب الله تعالى في قوله جل شأنه: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ (الحج 25)

قال الإمام الطبري رحمه الله: " يقول تعالى ذِكْرُه: ومن يرد فيه إلحادا بظلم نذقه من عذاب أليم، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم... واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام، أذاقه الله من العذاب الأليم، فقال بعضهم: **ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به**... وقال آخرون: **هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه**... عن ابن عباس، قوله: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: 25) يعني أن **تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان أو قتل**، فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لا يقتلك، فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم... وقال آخرون: بل ذلك احتكار الطعام بمكة... وقال آخرون: بل ذلك **كل ما كان منهيا عنه من الفعل**، حتى قول القائل: لا والله، وبلى والله... وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس، من أنه معني بالظلم في هذا الموضع **كل معصية لله**، وذلك أن الله عَمَّ بقوله ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ (الحج 25) ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ومن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يرد في المسجد الحرام بأن **يميل بظلم، فيعصي الله** فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له. " [1]

فمجيء كلمة الظلم بعد كلمة الإلحاد أبانت معناها ومرماها من كونها: **الميل عن الحق إلى الباطل والضلال.**

فكل ملحد هو مائل عن الحق إلى الباطل، وليس من المكرمات أو المفاخر أن ينتسب أحد للإلحاد، بل مَعَرَّة بغير علم وضلال وخسران، ومن قال عن نفسه: ملحد = فالمعني ضال كما تبين.

وقال الله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: 180)

قال الإمام الطبري رحمه الله: " وأما قوله: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (الأعراف: 180)، فإنه يعني به المشركين، وكان إلحادهم في أسماء الله، أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها "اللات" اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذي هو "الله"، وسموا بعضها "العُزَّى" اشتقاقا لها من اسم الله الذي هو "العزيز" [2]

وقد نقل عن ابن عباس وقتادة أن **الإلحاد هو التكذيب والشرك** وقوله "يلحدون" أي يشركون ثم قال: " وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض. ثم **يستعمل في كل معوج غير مستقيم**، ولذلك قيل للحد القبر: لحد، لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه " [3]

فكلمة الإلحاد جاءت في القرآن بمعنى الشرك والتكذيب

---

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن 595/18 وما بعدها

(2) ينظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن (282/13)

(3) ينظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن (283/13)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد وردت كلمة الإلحاد ومشتقاتها في القرآن في مواضع عديدة كما في، سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل: 103)

سورة فصلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت40)

وكلمة الإلحاد في القرآن لا تأتي بمعنى الإلحاد بالمفهوم الحالي (المعاصر) المتعارف عليه. وكذلك الشخصيات المذكورة في القرآن من الذين كانوا لا يؤمنون بالرسالة النبوية كانت شخصيات غير ملحدة (بالمفهوم المعاصر) بل كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة "مشركون" فرغم اعتقادهم بوجود الإله الأوحد فإنهم كانوا في نفس الوقت يؤمنون بأن التماثيل التي كانوا يعبدونها باستطاعتها الشفاعة لهم عند الإله الأعظم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (العنكبوت 61)

وفكرة إنكار وجود الخالق من الأساس فكرة مستبعدة تماما في كل العصور، لأن الإنسان فُطِر على وجود إله خالق، وهذه حقيقة لا ينكرها حتى الملحد، لكنه يعاند ويكابر ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾ (النمل: 14)، يقول المؤرخ الإغريقي بلوتارك: "لقد وُجِدَت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابد".[1]

ولقد اغتر كثير من الباحثين بكتابات المستشرقين عن الإلحاد وساروا في ركابهم فأصبحوا يرددون: " إن كلمة الإلحاد هي ترجمة لكلمة إغريقية قديمة وهي atheos وكانت هذه الكلمة مستعملة من قِبَل اليونانيون القدماء بمعنى ضيق وهو عدم

(1) ينظر: مجلة الوعي الإسلامي الكويتية العدد 557 نوفمبر-ديسمبر 2011، مقال بعنوان: هل حقا الدين أفيون الشعوب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإيمان بإله وفي القرن الخامس قبل الميلاد تم إضافة معنى آخر لكلمة إلحاد وهو إنكار فكرة الإله الأعظم الخالق "

ثم قسموا الإلحاد قسمين:

" الأول: إلحاد قوي أو إلحاد موجب وهو نفي وجود إله (إلحاد نفي).

الثاني: إلحاد ضعيف أو إلحاد سالب وهو عدم الاعتقاد بوجود إله.

فالفرق بين الملحد الموجب والسالب – عندهم – هو أن الملحد الموجب ينفي وجود الله تعالى، وقد يستعين بنظريات علمية وفلسفية لإثبات ذلك، بينما الملحد السالب يكتفي فقط بعدم الاعتقاد بالله نظرا لعدم قناعته بالأدلة التي يقدمها المؤمنون. " [1]

وهذا كله كلام – لو ناقشناه بمبدأ الملحدين المادي – لا زمام له ولا خطام، ولا دليل عليه ولا برهان، بل هو (تنظير هروب) حتى يتوهم الناس أن لهم تقسيمات ونظريات ويكون كلامهم أشبه بكلام أهل العلم...!!

والحق الذي لا مِرية فيه عندنا نحن المسلمين: أن الإلحاد ظهر قبل اليونانيين القدماء بل وقبل كل القدماء الأقدمين، نعلمه من ديننا علم اليقين، وقد سجل القرآن الكريم معالم الإلحاد الأولى وحكاها تفصيلا وتحذيرا فقال رب الأرباب سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة34) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ (الكهف 50)، وقال جل وعز: ﴿فَسَجَدَ الملائِكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (ص 75، 74)

---

[1] هذا هو التقسيم السائد والمعروف للإلحاد عند كل الدارسين، ولا أعلم أحدا سبقني في التقسيم الذي ذهبت إليه للإلحاد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإبليس الملعون هو أبو الملحدين ففي آيات البقرة وص " وكان من الكافرين " وفي آية الكهف " ففسق عن أمر ربه " فالفسق والكفر هما أصل الإلحاد وعينه وهذه هي بذرة الإلحاد الأولى.

والنَّابِهُ لا يَأْبَهُ لكلام المستشرقين عن الإلحاد، لأنهم ملحدين !! وحدود علمهم فَلْسَفَات اليونانيين القدماء والإغريق، ومعظمها تُرَّهات بَتْرَاء، عَرْجاء عمياء شوهاء، لا اتصال لها ولا إسناد، ولو اتصل إسنادها، فقد كفانا خبر السماء عما تحت أديمها.

كما أن فلاسفة اليونان والإغريق هم من أسسوا لمنهج الشك الإلحادي، فكانوا يشُكُّون في الثوابت والمسَلَّمات، شكٌ من أجل الشك، فكان الشك عندهم نوع رياضة من رياضات العقل، وسوف يتبين فساد ذلك في أنواع الإلحاد.

فإبليس هو أول من ألحد وجاء الوصف في القرآن الكريم بالكفر والفِسْق،

والكُفر لغة: الستر قال ابن فارس في مادة (كفر): الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، وإذا أطلق الكفر في الدين فيعني الجحود والعصيان.

قال الإمام الطبري رحمه الله: " معنى الكفر في قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ فإنه الجحود. وذلك أن الأحبار من يهود المدينة جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وستروه عن الناس وكتموا أمره، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

وأصل الكفر عند العرب: تغطية الشيء "[1]

أما الفسق فهو الخروج والعدول لغة واصطلاحا، قال الإمام الطبري رحمه الله: " وقوله: ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ يقول: فخرج عن أمر ربه، وعَدَلَ عنه ومَالَ... وكذلك الفِسْق في الدين إنما هو الانعدال عن القصد، والميل عن الاستقامة، ويحكى

(1) ينظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن (255/1)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن العرب سماعا: فسقت الرُّطَبة من قشرها: إذا خرجت منه، وفسقت الفأرة: إذا خرجت من جحرها" (1)

ولنكن دائما على ذُكْرٍ لمعنى الإلحاد وأنه: الميل والعدول عن الطريق القويم، وأن الكفر: الجحود والإنكار، والفسق هو: الخروج والعدول

وقد ذكر الله تعالى أن إبليس قال: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِم وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف 17، 16)

والطريق القويم هو صراط الله المستقيم وقد قال إبليس: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيم﴾، فكان أول الملحدين وأول من دعا إلى الإلحاد، وأمَالَ العباد عن الطريق المستقيم مستعينا بذريته من الجن ومن أطاعه من الإنس فتشيطنوا وأصبحوا شياطين الإنس ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام 112)

فالإلحاد عمليا بدأه إبليس لكنه لم يُسَمَّى إلحادا بل سمي: كُفرا، وفسوقا، وإباءً لأمر الله تعالى، واستكبارا، وضلالا... وسمي فيما بعد زندقة وإلحادا.

وكلمة زندقة تحمل في الإسلام معني الكفر والضلال، وأقدم نص وقفتُ عليه فيه هذه الكلمة ما رواه الطبراني مرفوعا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما كانت زندقة إلا كان بين يديه التكذيب بالقدر" (2) وإن كان هذا الحديث فيه ضعف كما ذكر محقق المعجم الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي – رحمه الله وأسكنه فسيح جناته – إلا أن رواية الإمام الطبراني لهذه الكلمة دال على تداولها في هذا الزمان المبكر (توفي الطبراني سنة 360 هـ)

---

(1) ينظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن (42/18)

(2) ينظر:المعجم الكبير 186/6 رقم (5944)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و هذه الكلمة لها أصول فارسية وأطلقت أول ما أطلقت على مُنكري الغيبيات، ومن كان لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق سبحانه، وانتشرت في أقوال العلماء وخاصة ردودهم على المتكلمين فنجدها موجودة بكثرة في كلام الأئمة: الشافعي وأحمد ويحيى بن معين وتلاميذهم، وكان هذا الوقت هو بداية انتشار الفكر المنكر للغيبيات (الإلحادي)، نتيجة ترجمة كتب أصحاب الملل والفلسفات الفارسية واليونانية..وغيرها.

يقول ابن منظور في لسان العرب مادة (زندق): الزنديق: القائل ببقاء الدهر، فارسي معرب، وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة، ووحدانية الخالق.

وكما يقول علماء الأصول: لا مشاحة في الاصطلاح، فالمعنى ثابت معلوم، سميناه إلحادا أو كفرا أو فسوقا أو ضلالا أو زندقة فالمعني: عدم الإيمان.

وهذا ما ذكره أحد الملحدين المعاصرين حيث قال: أنا لا أنكر وجود إله، ولكني لا أؤمن بوجود إله.!!

فالإلحاد وصف لأي موقف فكري لا يؤمن بوجود إله، لأن شرط العلم -عندهم- هو أن يكون المعلوم قضية منطقية صحيحة، مثبتة، ويمكن الاعتقاد بها، ولما كان ادعاء وجود إله – حسب اعتقاد الملحد- غير مثبت فإن التصديق بوجود إله ليس عِلْما. وإنما هو نمط من الإيمان الشخصي غير قائم على أدلة وما يُقدم بلا دليل يمكن رفضه بلا دليل. ومن هذا فإن الإلحاد – عند الملحدين – هو موقف افتراضي بمعنى أنه ليس ادعاء وإنما هو جواب على ادعاء بالرفض. ومن ثم يُعرَّف الإلحاد بأنه: عدم الإيمان بوجود إله وليس إنكارا للأدلة العلمية والعقلية ونحوهما على وجود صانع واعي للكون والحياة ومستحق للعبادة (الله).

فالإلحاد ليس إنكارا لكنه عدم إيمان وهذا يتفق مع تعريف ابن منظور للزنديق حيث قال: (وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة، ووحدانية الخالق) لكنه لا يتطابق مع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعل إبليس وقوله حيث قال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (الحجر: 36) وقال: ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الإسراء: 62)

فقوله: " رَبِّ "، وقوله: " إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " دال على أنه يؤمن بالرب ويؤمن بالآخرة يوم القيامة وهذا يكشف عن أنواع ودرجات مختلفة للكفر والإلحاد، وهذا هو موضوع المبحث القادم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول: أنواع الإلحاد

معلوم لدى أهل الإيمان أن أنواع التوحيد ثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الأُلوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

فالربوبية: متعلقة بالأمور الكونية كالخلق، والإحياء، والإماتة، ونحوها، ويشترك فيها المسلم والكافر

والأُلوهية: متعلقة بالأوامر والنواهي من الواجب، والمحرم، والمكروه، وهذه يتميز بها المسلم عن الكافر

أما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين معا (توحيد الربوبية، وتوحيد الأُلوهية)؛ وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه، والتي من جملتها: الرب، الخالق، الرزاق، وهذا هو توحيد الربوبية، وكذلك من جملتها: الله، الغفور، الرحيم، التواب، وهذا توحيد الأُلوهية

و لا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة وهي: توحيد الربوبية، والأسماء والصفات، والأُلوهية، فلا ينفع توحيد الربوبية دون توحيد الأُلوهية، ولا يقوم توحيد الأُلوهية دون توحيد الربوبية، ولا يستقيم توحيد الله في ربوبيته وألوهيته دون توحيده في أسمائه وصفاته.

والعبادة: اعتقاد وقول وعمل؛ فمن اعتقد ولم يقل ولم يعمل كان مشركا، ومن اعتقد وقال ولم يعمل كان منافقا، ومن اعتقد وقال وعمل كان مؤمنا.. أما الملحد فهو لا يعتقد ابتداءً، لأن الإلحاد كما تقرر: عدم إيمان، والإيمان هو الاعتقاد.

ومن عجائب الملحدين المعاصرين أنهم لا يعلمون كثيرا عن الإلحاد، ومعظمهم دون مبالغة لا يعلمون معنى الإلحاد، وكثير منهم يظن أنه على علم، وهو لا يعلم أنه لا يعلم، والذين يظنون أنهم يُعملون عقولهم هم في الحقيقة يضيِّقون على أنفسهم ولا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُعملونها كما ينبغي، وإمامهم في إعمال العقل تضييقا وفسادا إبليس لعنه الله ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾(الأعراف 12) ظن بنفسه الخيرية ولم يكن كذلك، وهم أيضا يظنون بأنفسهم ذلك وليسوا كذلك، وهذا يكشف لنا أول أنواع الإلحاد وهو: إلحاد التكبر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الأول: إلحاد التكبر

هذا أقدم وأول أنواع الإلحاد ظهورا، وصاحب هذا النوع يُقر بوجود إله إما ابتداءً كإبليس أو انتهاءً كفرعون، فقد يكون مؤمنا بل ومجتهدا في الطاعة ثم يأتيه الإلحاد من باب الكِبْر والغرور كحال إبليس الرجيم.

فقد كان إبليس من حيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن، خُلقوا – من بين الملائكة – من نار السموم. وكان اسمه: عزازيل وقيل: الحارث، وكان خازنا من خزان الجنة وقد خُلقت الملائكة جميعها من نور غير هذا الحي، خُلقوا من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت، وكان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكانوا سكان الأرض، وكان هو رئيس ملائكة سماء الدنيا، يسوس ما بين السماء والأرض، ومن أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم عِلْما، فذلك دعاه إلى الكبر.

و العرب تقول: ما الجن إلا كل من اجتن فلم يُرَ. وأما قوله تعالى: "إلا إبليس كان من الجن" أي كان من جن الملائكة، (حي من أحياء الملائكة)، وقيل كل الملائكة في اللغة جن، وذلك لأنهم اجتنوا فلم يروا. وقد قال الله جل ثناؤه:

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ (الصافات 158)، وذلك لقول قريش: إن الملائكة بنات الله، فيقول الله: إن تكن الملائكة بناتي فإبليس منها، وقد جعلوا بيني وبين إبليس وذريته نسبا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن من الملائكة قبيلا يقال لهم: الجن، فكان إبليس منهم، وكان إبليس يسوس ما بين السماء والأرض، فعصى، فمسخه الله شيطانا رجيما" (1)

---

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (507/1)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإبليس"إفعيل"، من الإبلاس، وهو الإياس من الخير والندم والحزن، أبلسه الله من الخير كله، وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته.

فإبليس عرف الله ابتداءً لكنه اغتر بما أعطاه الله من النِّعَم والمُلْك لذا قال الله عنه ﴿ففسق عن أمر ربه ﴾ أي خرج عن طاعة ربه وهذا يعني كونه طائعا قبل ذلك إلا أن نسبه من الملائكة: قبيلة الجن وخزانة الجنة، ومكانته فيهم وما آتاه الله من المُلك جعله يظن بنفسه الخيرية فاستكبر وكان من الكافرين.

ولهذا شواهد من أفعال البشر استكبروا فكفروا، كما فعل نمروذ بن كنعان وهو أول مَلِك تجبر في الأرض، وهو صاحب الصرح ببابل، وهو الذي ﴿ حَاجَّ إبرهيم فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (البقرة 258)

قال الإمام الطبري رحمه الله: " فكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام، فخرج إبرهيم[1] يمتار مع من يمتار، فإذا مر به ناس قال: من ربكم؟ قالوا: أنت حتى مر إبرهيم، قال: من ربك؟ قال: الذي يحيي ويميت؟ قال: أنا أحيي وأميت قال إبرهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر. قال: فرده بغير طعام... كان بالموصل والناس يأتونه، فإذا دخلوا عليه، قال: من ربكم؟ فيقولون: أنت " [2]

ومثله فرعون موسى تكبر وتجبر على بني إسرئيل وقال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف51) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي

---

(1) الأسماء: إبرهيم، وإسمعيل، وإسحق، وسليمن، وقرون، وهرون، .. ونحوها من الأسماء الأعجمية كتابتها بدون الألف أصح لغة من كتابتها بالألف، وتحذف استثقالا لها كما قال ابن قتيبة في أدب الكاتب، باب:حذف الألف من الأسماء وإثباتها ص 228، وقد سِرْتُ على ذلك في البحث كله .

(2) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (433/5)وما بعدها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ﴾ (القصص 38)

فهذا الذي تكبر واستكبر هو وجنوده لما رأى الموت آمن حيث لم ينفعه إيمانه: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسرئيل وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس 90)، فلم ينفعه أن كان له ملك مصر، ولم تنفعه الأنهار التي تجري من تحته، والله غالب على أمره.

وعلى نهجه سار قرون فقد كان مِنْ مَن آمن بموسى عليه السلام وكان ابن عمه قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾ (القصص 76 -78)

وكان قرون يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة، فبغى عليهم أي: تجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم، وكان بعضهم يقول: كان بغيه عليهم زيادة شِبر أخذها في طول ثيابه فعله تكبرا عليهم.

وإنما كان بغيه عليهم بكثرة ماله، كانت مفاتح قرون تحمل على ستين بغلا كل مفتاح منها باب كَنْز معلوم، فلما بسط الله له الرزق تكبر وبغى على قومه.

وكُفْر اليهود والنصارى بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم [1] هو من هذا الباب، فهم يعلمون صِدقه وصدق رسالته، ويعلمون أنه الحق من ربهم، لكنهم قوم بُهْت: ﴿

(1) التزمت في هذا البحث بكتابة الصلاة على النبي هكذا (صلى الله عليه وسلم) لقراءتها، دون كتابة الرسم المعتاد والذي يكون هكذا (ﷺ) والذي غالبا لا يُقرأ، كما أن الكتابة هي الأصل والأفضل والأكثر موافقة لفعل السلف وتأدبهم في ذِكر النبي صلى الله عليه وسلم .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة 146)

وكثير من كفار قريش كان إلحادهم من هذا النوع، أخذتهم العزة والأنفة بالإثم، فتكبروا على الإيمان، فهم يعلمون يقينا صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن حملهم الكبر والعناد على عدم الإيمان.

قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: " إن أول يوم عرفت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أمشي مع أبي جهل بمكة، فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا أبا الحكم، هلم إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه أدعوك إلى الله، فقال: يا محمد، ما أنت بمنته عن سب آلهتنا، هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت، فنحن نشهد أن قد بلغت، قال: فانصرف عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليّ، فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق؛ ولكن بني قُصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا القِرَى، فقلنا: نعم، ثم قالوا فينا الندوة، فقلنا: نعم، ثم قالوا فينا السقاية، فقلنا نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الرُّكَب، قالوا: منا نبي والله لا أفعل" (1)

فكفار قريش علموا صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته، لكنهم عاندوا ولم يؤمنوا كِبرا وحسدا من عند أنفسهم.

وفي زماننا وقع في هذا النوع من الإلحاد بعض من استمات يوما في الدفاع عن الدين، فألّف الكتب وأقام الحجج الواضحات، وأظهر الآيات البينات، ورد بعض ضلالات من يُعرفون بالعلم وينتسبون إلى قلعة من قلاعه الشَّمّاء، حتى كاد بعضهم يُسميه حجة الزمان وشيخ الإسلام، ولكن وقعت الواقعة وأوتي من باب الكِبْر فألحد واتبع هواه. نسأل الله السلامة وحسن الختام.

---

(1) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه رقم (36979)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإمام هؤلاء جميعا إبليس لعنه الله وقد وصفه الله تعالى بفعله هذا أنه: من الصاغرين، ومذءوما، ومدحورا، ورجيم، وعليه اللعنة إلى يوم الدين، وعدو مبين.

فمن فَعَل فِعله وُصِف بوصفه ونال جزاءه: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: 43). وإبليس لم ولا ينكر وجود الرب وهذا فارق كبير، وهؤلاء (أهل الإلحاد المعاصر) ينكرون أو لا يؤمنون بخالق السماوات والأرض سبحانه وتعالى الذي قال: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ (الكهف: 51)، فهذه بعض نماذج إلحاد التكبر لمن أقرَّ بوجود الله ابتداءً أو انتهاءً ثم جاءه داعي التكبر فتكبر، عافانا الله أجمعين أبتعين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثاني: إلحاد الإشراك

الإشراك من الشِّركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما والمعنى أن تجعل لله ندا وشريكا كما فعلت يهود، وكما فعلت النصارى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة: 30)

وهذا أعظم ذنب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: " أن تجعل لله ندا وهو خلقك " [1]

وقد وقع في هذا النوع من الإلحاد قوم إبرهيم الخليل عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنبياء: 52)

فنبي الله إبرهيم عليه السلام استنكر على قومه الأصنام التي يعبدونها من دون الله، قال لهم: أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها. كانوا يعكفون على عبادتها أي يقيمون ويديمون العبادة لها من دون الله.

و أشرك بعض يهود من هذا الباب فطلبوا من نبي الله موسى أن يجعل لهم إلها يعبدونه من دون الله: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(لأعراف 138)

بل وعبد بعضهم العجل، وقال عنهم ربنا تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (البقرة 92) وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (الأعراف: 152)

---

(1) أخرجه: البخاري في كتاب التفسير باب: "فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون" رقم (4477)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الإمام الطبري رحمه الله: " لما أمر الله موسى أن يخرج ببني إسرئيل – يعني من أرض مصر – أمر موسى بني إسرئيل أن يخرجوا، وأمرهم أن يستعيروا الحلي من القبط.(قال لبني إسرئيل فيما أمره الله عز وجل به: استعيروا منهم – يعني من آل فرعون – الأمتعة والحلي والثياب، فإني منفلكم أموالهم مع هلاكهم. فلما أذن فرعون في الناس، كان مما يحرض به على بني إسرئيل أن قال: حين ساروا لم يرضوا أن خرجوا بأنفسهم، حتى ذهبوا بأموالكم معهم!) فلما نجى الله موسى ومن معه من بني إسرئيل من البحر، وغرق آل فرعون، أتى جبريل إلى موسى يذهب به إلى الله. فأقبل على فرس، فرآه السامري فأنكره وقال: إنه فرس الحياة، فقال حين رآه: إن لهذا لشأنا. فأخذ من تربة الحافر –حافر الفرس– فانطلق موسى، واستخلف هرون على بني إسرئيل، وواعدهم ثلاثين ليلة، وأتمها الله بعشر. فقال لهم هرون: يا بني إسرئيل، إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حلي القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، واحفروا لها حفرة فادفنوها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه. فجمعوا ذلك الحلي في تلك الحفرة، وجاء السامري بتلك القبضة فقذفها، فأخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار. وعدّت بنو إسرئيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما واليوم يوما، فلما كان تمام العشرين، خرج لهم العجل. فلما رأوه قال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى فنسي – يقول: ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه. فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي. فقال لهم هرون: يا بني إسرئيل إنما فُتنتم به، أي: إنما ابتليتم به، بالعجل، وإن ربكم الرحمن. فأقام هرون ومن معه من بني إسرئيل لا يقاتلونهم، وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه، فلما كلمه قال له: ما أعجلك عن قومك يا موسى؟ قال: هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى. قال: فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري " (1)

---

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (2/ 65)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وشبيه بهذا قول النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة: 73)

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وهذا قول كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية والملكية والنسطورية. كانوا فيما بلغنا يقولون: "الإله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم: أبا والدا غير مولود، وابنا مولودا غير والد، وزوجا متتبعة بينهما" (1)

قال الله جل ثناؤه: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(المائدة: 76)

"يقول تعالى ذِكْره لمحمد صلى الله عليه وسلم: "قل"، يا محمد، لهؤلاء الكفرة من النصارى، الزاعمين أن المسيح ربهم، والقائلين إن الله ثالث ثلاثة، أتعبدون سوى الله الذي يملك ضركم ونفعكم، وهو الذي خلقكم ورزقكم، وهو يحييكم ويميتكم، شيئا لا يملك لكم ضرا ولا نفعا؟ إن المسيح الذي زعم من زعم من النصارى أنه إله، والذي زعم من زعم منهم أنه لله ابن، لا يملك لهم ضرا يدفعه عنهم إن أحله الله بهم، ولا نفعا يجلبه إليهم إن لم يقضه الله لهم. فكيف يكون ربا وإلها من كانت هذه صفته؟ بل الرب المعبود: الذي بيده كل شيء، والقادر على كل شيء. فإياه فاعبدوا وأخلصوا له العبادة، دون غيره من العجزة الذين لا ينفعونكم ولا يضرون." (2)

وقد وقع في هذا النوع من الإلحاد بعض كفار قريش فكانوا يعبدون الأصنام وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زلفى ﴾(الزمر 3) أي ليشفعوا لنا عند الله.

---

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (10/ 482)، والملكانية واليعقوبية والنسطورية فِرَق من فرق النصارى الكثيرة وثلاثتهم متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم، وهذه الأقانيم الثلاثة هي واحد وهو جوهر قديم ومعناه أب وابن وروح القدس إله واحد..!!!

(2) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (10/ 487)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكثير من المتصوفة يدخلون في هذا المحظور من الاعتقاد في الأولياء وفي القبور وظنهم النفع والضر كحال كفار قريش ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زلفى﴾، بل واعتقادهم في بعض الكلمات، حتى لو كانت كلمات عظيمة فاضلة في نفسها، فهذا نوع إلحاد لأنه ميل عن الطريق القويم، والعبادة توقيفية فلا يُعبد الله إلا بما أمر سبحانه، ولا يجوز التعبد لله تعالى بعبادة إلا إذا كانت هذه العبادة قد ثبت في النصوص الشرعية (القرآن والسنة الصحيحة) أنها عبادة شرعها الله تعالى، والمتسمون بالمجاذيب من المتصوفة الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم، داخلون في هذا النوع، فإن إطلاق لفظ الجلالة مُنفردا عن أخبار، ليس بكلام ولا ذِكر وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف، بإخراجه عن لفظه العربي، ولو أن رجلا عظيما يُسمى زيد، وصار جماعة يقولون: زيد زيد زيد، لَعُد ذلك استهزاءً وسخرية ولاسيما إذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ [1]

فالأصل في العبادات الحظر والمنع، فلا يجوز لأحد أن يتعبد لله تعالى بشيء لم يشرعه الله جل ثناؤه، وقد قال النبي صلى الله عبيه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَد" [2] أي مردود. وقال صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" [3].

---

(1) للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للإمام الصنعائي

(2) أخرجه: البخاري في كتاب الصلح رقم (2697)، ومسلم رقم(1718)

(3) أخرجه: البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود، ومسلم في كتاب: الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم(1718)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثالث: إلحاد الفكر

الفكر هو: تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبرا، ورجل فِكِّير أي كثير الفكر، وهو إعمال الخاطر، والتفكر هو التأمل، وتقول: ما دار فكري حول كذا: أي ما خطر ببالي، والفكرة: قوة مُطرقة للعلم إلى المعلوم، وقال بعضهم: الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى الحقيقة [1]

فالفكر: تردد القلب في الشيء، وهو نوع شك وقال بعضهم الفكر مقلوب الكُفر ويشتركان في عدم العلم والإبانة أو قُل: عدم الاعتقاد والإيمان، فالكفر: ستر وتغطية، والفكر: تردد وشك.

وهذا النوع من الإلحاد ثالث الأنواع وجودا، وكثير من الناس يظنه خطأً أصل الإلحاد، لأن هذا النوع بدأت بذرته من فلاسفة اليونان والإغريق، فكانوا يَشُكُّون في كل شيء (شك من أجل الشك)، فبدءوا بإنكار الغيبيات التي أطلقوا عليها (الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة المادية المحسوسة) ثم شَكُّوا في كل المسَلَّمَات، والشك عندهم لم يكن هدفه الوصول للحقائق، بل من أجل الشك نفسه كنوع من المتعة العقلية.

وكثير من دارسي الإلحاد يرددون: الإلحاد مرحلة شك، الإلحاد هو نتاج بعض الأسئلة الشَّكِّيَّة. وهذه جمل خاطئة مُضَلِّلة وصوابها: الشك من أجل الشك نوع إلحاد، فالإلحاد لا يمكن حصره في الشك، ولكن الشك قد يؤدي إلى الإلحاد إذا كان الشك مذهبا أي يجعله صاحبه هدفا لا وسيلة، وساعتئذ يصبح هدَّاما للعقائد والمسَلَّمات ولا يؤدي إلى نتائج لأن صاحبه يدور في حَلْقة مفرغة كحال "بروتاجوراس" زعيم السوفوسطائيين الذي شك في كل شيء حتى قال: " أنا لا

(1) ينظر: مقاييس اللغة، وأساس البلاغة، ولسان العرب مادة (فكر).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعلم ما إذا كانت الآلهة موجودة أم غير موجودة لأن الموضوع غامض والعمر قصير".

بخلاف الإمام أبو حامد الغزالي (ت 505 هجرية) الذي شك في جميع الحقائق المتعارف عليها شَكًا منهجيا، وبدأ يبحث بنفسه عن الحقيقة لكي يتوصل بجهده إلى اليقين حتى يصبح إيمانه بالإسلام قائما على الاقتناع الذاتي، وليس على الوراثة من الوالدين، فجعل الشك وسيلة للوصول إلى اليقين ولم يجعله هدفا ومذهبا.

وقد استفاد من تجربة الغزالي في الشك كثير من فلاسفة الغرب على رأسهم رينيه ديكارت الفيلسوف الفرنسي المعروف والملقب بأبي الفلسفة الحديثة، حتى إنه توصل بهذا المنهج إلى إثبات وجود الله من خلال العقل، ومع ذلك ظل كافرا..!!

فالشاهد أن إلحاد الفكر يأتي من اتخاذ الشك مذهبا في الحياة.

وقد كان هذا النوع من الإلحاد مدخلا لما جاء بعده من أنواع، حيث جعل بعض علماء المادة يُفْتَنُون بعقولهم فوقعوا في إلحاد العقل، وافتتن بهم قوم من قليلي العقل فقلدوهم فوقعوا في إلحاد الجهل.

وعرفت العرب [1] في الجاهلية هذا النوع وسموا بالدهريين الذين كانوا يعتقدون بِقِدَم العالم، وأن العالم لا أوَّل له، وأنكروا الآخرة، ويذكرهم القرآن بقوله:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية24)

وفي الإسلام عُرف أتباعه بالزنادقة، ولفظ الزندقة في الإسلام شمل كل فِكر فيه خروج عن توحيد الله تعالى.

وللعلماء والأئمة مع أصحاب هذا النوع من الإلحاد مناظرات ومساجلات عديدة معروفة، كمناظرات أبي حنيفة وأبي يوسف والشافعي وابن المبارك وغيرهم.

---

(1) لفظة (العرب) مؤنثة أفصح من تذكيرها فنقول: عرفتْ العرب، وقالتْ العرب، وفي القرآن الكريم: " قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا " (الحجرات 14)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الرابع: إلحاد العقل

العقل: الحبس والمنع، قال ابن فارس في مقاييس اللغة مادة (عقل): "العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل. قال الخليل: العقل: نقيض الجهل. يقال عقل يعقل عقلا، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله. وجمعه عقول. ورجل عاقل وقوم عقلاء. وعاقلون. ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل. وما له معقول، أي عقل" انتهى.

ومن المهم في هذا الموضع أن نعلم أن العقل معناه: الحبس والمنع، وسمي عقلا لأنه: يعقل صاحبه (يمنعه) عن النواقص.

وقد وقع فيه قوم لميلهم إلى عقولهم (والميل الإلحاد) ولم يفهموا أن أصله المنع وليس العطاء، وأن له مدارك لا يمكنه تجاوز حدودها فهو يعمل من خلالها ويعجز عن العمل خارجها.

ولقد أحسن وأبدع الإمام الشافعي رحمه الله حين وضَّح ذلك بقوله: " إن للعقل حدًا ينتهي إليه، كما أن للبصر حدًا ينتهي إليه"، فالعقل عِقَال وليس بحرًا سَيَّال.

وهذا لا يتناقض مع إبداعه واختراعه وفهمه وإدراكه، ونحن المسلمين أُمِرْنا بإعمال العقل في الأمر كله، بل إن أساس التكليف في الإسلام وبالإسلام العقل،

ولكن الخلل يأتي بخروج العقل عن حدوده، وميله عن جادة صوابه (والميل هو الإلحاد).

وأصل إلحاد العقل جاء نتيجة التأثر بفلسفات وسفسطات المدارس الفلسفية الشَّكِّيَّة، التي اعتمدت في شكها على القدرات العقلية لإدخال الشك في نفوس المحاورين وزعزعة ما نشئوا عليه من مُسَلَّمات وبدهيات، إلا أنه في الزمان الأول لم يتبلور إلى إلحاد عقلي، لأنه لم يكن إلا مجرد الشك والتردد فكان إلحادا فكريا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بدأت إرهاصات الإلحاد العقلي بعد ما عُرف بالثورة الصناعية في أورُبَّة [1]

حيث سادت المادية، وانتشر احتقار الدين النصراني ورجال الكنيسة، لتسلطهم وتجبرهم على الناس باسم الدين، وباحتقار رجال الكنيسة وسقوطهم سقطت كل الثوابت والقيم المنتمية للدين النصراني وتم تنحية الدين جانبا، وبدأ علماؤهم في وضع الأسس العلمية لنهضة تقوم على العقل والعلم بعيدا عن الدين ورجاله، واستفادوا في نهضتهم بفلسفات الأقدمين من اليونانيين والإغريق، فجمعوا إلى ماديتهم الشك في المسَلَّمات والثوابت، وساعدهم في الإمعان في هذا الشك اكتشافهم كثرة أكاذيب أحبارهم ورهبانهم وقساوستهم عليهم باسم الدين، وأن حياتهم السابقة كانت سلسلة طويلة من الأكاذيب المقْنِعة المقَنَّعة التي لم يَشُكُّوا فيها طرفة عين، بل كانت أكاذيب مقدسة لا يجرئون حتى على الشك أو التفكير فيها، لذا شكُّوا في كل شيء، واغتروا بما حققوه من بعض التقدم العلمي عن طريق العقل بعيدا عن رجال الكنيسة. فجعلوا العقل هو المرجع والحكم في الأمور كلها فما وافقه أخذوا به وما خالفه أو شك فيه العقل تركوه.

فكان إلحاد العقل تطويرا لإلحاد الفكر، فأنكروا الغيبيات (ما وراء الطبيعة) واعتمدوا على المحسوسات والماديات وهذا هو أصل الإلحاد المعاصر الذي نعاني منه [2]

---

(1) كانت العرب قديما تطلق على البلاد الواقعة شمال البحر المتوسط بلاد أورَبِّي، وهو الاسم الذي أطلقه أبو الريحان البيروني قبل نحو عشرة قرون كما جاء في كتاب معجم البلدان، وفي المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة إنها: أورُبَّة، فالأفصح أن نقول ونكتب: أوربَّة. بتشديد الباء والتاء المربوطة.

(2) هذا النوع من تأليه العقل والتعمق في المادية بعيدا عن الروحانيات الإيمانية هو السبب الرئيس في انتحار كثير من أبنائه، وفي كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب" ذكر رئيس البوسنة والهرسك علي عزت بيجوفيتش أن ثلاثة عشر روائيًا وكاتبًا يابانيًا أقدموا على الانتحار وقد تزامنت هذه المأساة المتواصلة للثقافة اليابانية خلال سبعين عامًا مع اختراق الحضارة الغربية والأفكار المادية للثقافة اليابانية التقليدية، كما أدت المادية الغربية إلى ظهور جيل بائس من الشباب يملك كل شيء ولكن يعوزه كل شيء. أولئك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسيأتي بيان ذلك تفصيلا – إن شاء الله – عند الحديث عن الإلحاد المعاصر وبواعثه في المبحث الثاني.

" ولا شك أن للعنصر المادي أثرًا في طمأنينة المرء وشد أزره، ولكنه ليس كل شيء في خلق العزة الشخصية والجماعية، فَرُبَّ سجين مليء البطن خفيض الرأس، ورُبَّ طاوٍ حديد البصر جهير الصوت.

إن الإنسانية ليست جسدًا يُعلف ويسمن، ولكنها فطرة تتشوف للانطلاق والتحرر، ولا بد أن يتقرر لها حقها في النقد والمراجعة وحساب كل ذي منصب مهما جل وإقصاء من تكره وإدناء من تحب.. واليقظة التي ينشدها الإسلام للشعوب تتضمن الأمرين جميعًا.

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ (القصص: 5)

فكيف يتهم الدين بأنه مخدر للشعوب؟ " (1)

وقفة لابد منها، لله ثم للتاريخ.

في الحديث عن العلم وإلحاد العلماء لا يمكن تجاهل ما ذكره الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه "من تاريخ الإلحاد في الإسلام" حيث ذكر من الملحدين في الإسلام أبو بكر الرازي العالم والطبيب المعروف.

هم «الوجوديون» أو ما يسمون «بالجيل المهزوم» الذين يبشرون بفلسفة «العبث». وهو جيل من القُصَّر المعرضين للانحراف، و«الهيبز» الذين يتجاهلون الواقع ويسخرون من النظام والقواعد، وتنتشر أساليب سلوكهم وأفكارهم كما ينتشر الطاعون في المدن الكبرى في أنحاء العالم. وذكر أمورا أخرى كثيرة مع الإحصائيات الواقعية لها، وللمزيد يرجع لكتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" لرئيس البوسنة والهرسك علي عزت بيجوفيتش .

(1) ينظر: قذائف الحق صـ 200

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والدكتور بدوي نقل هذا الكلام عن كتابات بعض المستشرقين، فنقل مقالاتهم وبنى عليها نتائج كبيرة دون تحقيق في أصل هذه المقالات.

وأبو بكر الرازي هو: أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي عالم وطبيب مسلم ولد في الري سنة 250 هـ، وصاحب كتاب " الحاوي في الطب" وهو أعظم وأكبر كتب الطب، بل هو أول موسوعة طبية في التاريخ، اعتمدت عليه أوربة اعتمادا كليا عدة قرون – مع كتاب القانون في الطب لابن سينا – وكان كتاب الحاوي للرازي المرجع الطبي الرئيس لهم لأنه شمل كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى زمانه، وكتبه في ثلاثين مجلدا، وقد درس الرازي إلى جانب الطب، الرياضيات، والفلسفة، والفلك، والفيزياء، والكيمياء، والمنطق، والأدب، وتوفي سنة 311هـ.

هذه العقلية الفذة استكثرها واستعظمها المستشرقون على المسلمين، فراحوا يحرفون كلامه، وينسبون له ما لا علم لأحد به من الكتب والأقوال بما أشكل على الدارسين العرب والمسلمين، وساعدهم على ذلك نُدرة المصادر، وذهاب معظم كتب الإمام الرازي، فأصبح كلامهم عنه ويكأنه المرجع والمنتهى.

ولا أعلم – فيما وقفت عليه بعد بحثي في هذا الأمر– مَنْ نسب إليه إلحادا أو شبهة إلحاد من علماء الإسلام أهل الثقة والديانة، وعندنا في الفقه قاعدة عظيمة في هذا الباب وهي قاعدة: اليقين لا يزول بالشك[1]

وهذه القاعدة أصل شرعي عظيم، وتنبني عليها كثير من الأحكام الفقهية، ولها مدخل في معظم أبواب الفقه.

وقد ألمح أحمد مصطفي المعروف بطاش زاده إلى شيء من فساد دينه في سطر واحد من كتابه: " مِفْتاح السعادة " فقال: "وتوغل في الإلهي، ولم يفهم غرضه الأقصى، فتقلد آراءً سخيفة، وانتحل مذاهب ضعيفة " [1]

([1]) ينظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم (57)، المجموع المذهب (303/1)، الأشباه والنظائر لابن السبكي (13/1)، الأشباه والنظائر للسيوطي (59).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وطاش زاده ولد سنة 901 من الهجرية، والرازي توفي سنة 311هـ، وبين هذين التاريخين لا أعلم – فيما وقفت عليه – من قال مثل هذا الكلام أو نحوه، فمن أين جاء به طاش زاده سوى كتب المستشرقين التي بدأت تعرف في هذا الزمان.. !!

ويجب أن نفرق هنا بين أبي بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي المتوفى سنة 311هـ، وأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة 606هـ المعروف بالفخر الرازي صاحب التفسير الكبير، فكلاهما اشتغل بالفلسفة وعِلْم الكلام وله فيها مؤلفات، والفخر الرازي له فيها أخطاء جِسام أدت به إلى الزندقة، إلا أنه تاب ورجع إلى الصواب في آخر حياته، وأعلن ذلك في آخر مؤلفاته وهو كتاب: أقسام اللذات.

قال عنه الإمام ابن تيمية (المتوفى سنة 728 هجرية) [2]: " أبو عبد الله محمد ابن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات: " لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن: اقرأ في الإثبات ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ و﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ واقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

وكان يتمثل كثيرا:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذًى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

---

(1) ينظر: مفتاح السعادة (305/1) دار الكتب العلمية .

(2) ينظر: مجموع الفتاوى (72/4-73)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال هذا الإمام ابن تيمية بعدما فنَّد آراؤه الكلامية الظلامية، لذا يجب الحذر عند نسبة الكلام إلى أبي بكر الرازي، والتفريق بينه وبين أبي عبد الله الرازي.

أبو بكر الرازي ترجم له الإمام الذهبي رحمه الله، إمام زمانه في الجرح والتعديل والمتوفى سنة 748 هجرية، أي قبل ميلاد طاش زاده، في كتابه سير أعلام النبلاء في المجلد الرابع عشر صفحة 354، ولم يذكر جرحا في الرجل ولا شبيه بالجرح.

وابن خلكان المتوفى سنة 681 هجرية، ترجم له في وَفَيَات الأعيان في المجلد الخامس صفحة 157.

ومن قبلهم جميعا ترجم له ابن النديم المتوفى سنة 385 من الهجرة في كتابه الفهرست، وابن النديم عاصر الرازي أو عاصر كبار تلاميذه

قال ابن النديم: " الرازي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، من أهل الري، أوحد دهره وفريد عصره، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء وسيما الطب، وكان ينتقل في البلدان وبينه وبين منصور بن إسمعيل صداقة، وله ألف كتاب المنصوري، قال لي محمد بن الحسن الوراق: قال لي رجل من أهل الري، شيخ كبير سألته عن الرازي فقال: كان شيخا كبير الرأس مسفطا، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذ، ودونهم تلاميذهم، ودونهم تلاميذ أخر، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من تَلَقاه، فإن كان عندهم علم وإلا تعداهم إلى غيرهم، فإن أصابوا وإلا تكلم الرازي في ذلك، وكان كريما متفضلا، بارا بالناس وحسن الرأفة بالفقراء والأَعِلَّاء، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم، قال: ولم يكن يفارق المدارج والنَّسْخ، ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ، إما يسود أو يبيض، وكان في بصره رطوبة لكثرة أكله للباقلي، وعمي في آخر عمره، وكان يقول: إنه قرأ الفلسفة على البلخي"

وذكر في كتبه: "كتاب أن للإنسان خالقا حكيما مقالة " فهل يؤلف كتابا بهذا العنوان من في قلبه مثقال ذرة من شبهه في وجود خالق حكيم !!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل إن أحدا ممن جاء بعد طاش زاده لم يقل مقالته أو شبيها بها، فقد ترجم ابن العماد المتوفى سنة 1089 هجرية لأبي بكر الرازي في كتابه "شذرات الذهب" في الجزء الرابع صفحة 58، وسار على نهج أسلافه، كما سار أيضا على نهجهم صاحب الأعلام الزِرِكْلي في المجلد السادس صفحة 130.

ولقد اعترف الدكتور بدوي بنفسه فقال في كتابه تحت عنوان (نظرية النبوة): "من الواضح أننا لا نستطيع أن نعطي صورة صادقة لمذهب ابن زكريا الرازي لأن النصوص الأصلية تعوزنا، وكل ما لدينا في الباب إنما يرجع إلى ما يورده الخصوم من عرض لمذهبه وأقواله إما بنصها أو مبتورة من سياقها أو اختصارا وبالمعنى فحسب، فضلا عن ندرة هذه الآثار مما لا يسمح بتكوين رأي صحيح شامل، بيد أننا سنحاول جهدنا أن نتبين ذلك المذهب من تلك الشذرات والروايات النادرة قدر المستطاع " انتهى كلام فضيلة الدكتور...!!!!

فهل الحكم على دين الناس يؤخذ من كلام الخصوم؟ هل نحكم على دين البشر من خلال نصوص مبتورة من سياقها أو اختصارا، وبالمعنى فحسب فضلا عن ندرة هذه الآثار مما لا يسمح بتكوين رأي صحيح شامل

فهذه وقفة كان لابد منها قبل أن نرمي الناس في عقائدهم، فلا يجوز اتهام الناس في دينهم والغلو في تصنيفهم وعلى المسلم أن يحتاط لنفسه فيأخذ بظواهر الأعمال ويترك البواطن للواحد العلام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الخامس: إلحاد الجهل والرياء

هذا النوع أَطْلقتُ عليه إلحاد جهل لأن منبعه التقليد، ورياء لأن صاحبه يبحث عن السُّمْعة والشهرة.

ويدخل تحت هذا النوع الكثرة الكاثرة من الملحدين في هذا الزمان، فهم لا يعلمون قبيلا من دبير، ولا نقيرا من قطمير، ولا يفقهون شيئا عن الإلحاد، وليسوا من المشتغلين بالعلم أو الفكر حتى تأتيهم الوساوس من بعد إعمال النظر والتأمل والتفكر، إنما لسان حالهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾(الزخرف 22)

كحال قوم إبرهيم الخليل عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنبياء: 52- 54) فقوم إبرهيم عليه السلام وقعوا في إلحاد الإشراك من باب سنة تقليد الآباء ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ وهذا يفسر لنا لماذا حطَّم الخليل أصنامهم وقوله لهم ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ حتى يعيدهم إلى رشدهم، ويفيقهم من غيهم وضلالهم القائم على الإتباع الأعمى، وهذا ما حدث، قال تعالى:

﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ ﴾ (الأنبياء 63-65)

وكذلك فعل بعض كفار قريش حيث قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾(الزخرف 22)

فسنة الإتباع في الضلال قائمة كسنة الإتباع في الحق، وعلاج هذا النوع يكمن في معرفة أسباب الجهل وعلاجه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني: الإلحاد المعاصر وبواعثه

المطلب الأول: العلمانية والإلحاد

بعد الثورة الصناعية في أوربة والعداء المستحكم لكل ما هو ديني، نتيجة تسلط رجال الكنيسة على الناس فضاقوا بهم حتى جعلوا شعارهم (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر راهب) انطلقت موجات إلحادية غزت البلاد الأوربية التي كانت نصرانية، ثم حرَّف الرهبان ديانتهم وملئوها بالخرافات والترهات.

وتعود الإرهاصات الأولى للثورة الصناعية إلى تأثر الأوربيين بالمسلمين، إثر اختلاطهم بهم عن طريق بلاد الأندلس المسلمة ومناطق الثغور(وهي المناطق الإسلامية المتاخمة لبلاد الكفر) وانبهارهم الشديد بحضارة المسلمين، واطلاعهم على بعض علومهم، ومعرفة شيئا عن العلوم التي حازوها وكان لهم قصب السبق فيها، في الوقت الذي كانت أوربّة تعيش فيما سموه عصور الظلام أو القرون الوسطى المظلمة، وذلك لسيطرة الجهل التام على كل حياتهم، واتباعهم لجهالات رهبانهم في كل شئون حياتهم، مما أحدث بعض الاضطرابات في بلدان مختلفة من أوربة، استثمرها الرهبان والملوك في تنفيذ مخططاتهم، فقادوا هؤلاء الرَّعَاع الدهماء من شعوب أوربة في حروب على المسلمين وبلاد الإسلام عُرفت بالحروب المقدسة أو الحروب الصليبية.

استمرت الحروب الصليبية مدة قرنين من الزمان (489هـ - 690هـ) زادت فيهما معرفة الصليبيين بالإسلام وعلوم المسلمين، وبدءوا في نقل بعض هذه العلوم إلى بلادهم.

في هذا الوقت كان رجال الكنيسة يشنون حربا ضروسا على العلوم وأربابها، وتسلطوا على العلماء وطلاب العلم، فذاق علماء الغرب في ذلك الوقت ألوانا من العذاب على أيدي رجال الكنيسة إثر ظهور بعض الاكتشافات العلمية هناك،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ووقف رجال الكنيسة ضد تلك الاكتشافات وأصحابها، فكان الصراع الدموي مع الكنيسة، وسُمي هذا العصر بعصر التنوير أو بداية عصر النهضة الأوربية.

كانت الكنيسة قد أقرت النظام الإقطاعي السائد وقتئذ، بل أصبحت مؤسسة من مؤسساته الثابتة، وأقرت الاضطهاد الفظيع الذي كان يتعرض له أبناء المجتمع، ووقفت تتهدد الثائرين على الظلم، المتمردين على الطواغيت بأنهم مارقون من الدين، وأنهم ملعونون عند الله، وأخذت تضيق عليهم الخناق.

وفي نفس الوقت نشرت بعض التعاليم المحرفة ونسبتها للمسيح، محاولة بذلك تخدير النفوس التي تأبى هذا الظلم، قائلة: إن الرضا بالظلم في الحياة الدنيا هو مِفتاح الرضوان في الآخرة، وقالت لهم: " إن السيد المسيح يقول: " من خدم سيدين في الدنيا خير ممن خدم سيدًا واحدًا، وإن من احتمل عذاب الدنيا ؛ فسيعوضه الله بالجنة في الآخرة."

بل سلكت الكنيسة مسلكا آخر غير الترهيب باللعن والترغيب بالآخرة، سلكت مسلك التبرير المسيحي لنظام الاسترقاق الإقطاعي على يد القديس الإيطالي توما الإكويني (622-673هـ)، الذي فسره بأنه (نتيجة لخطيئة آدم) وكأن رجال الكنيسة والبارونات ليسوا من بني آدم.!!

ولقد حاول هذا القديس استخدام ذكاءه في التقريب بين رجال الكنيسة ورعاياهم، ليزداد تمكنا في التَّغَوُّل داخل عقولهم ويمنعهم من الانبهار بالإسلام وثقافته وحضارته، ولكن كَثُرت العوائق والتباين الشاسع بين الرهبان ورعاياهم، جعلهم كقطيع ينعق فيه ناعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً.

لقد نشر الرهبان والقساوسة نصوصا نسبوها للإنجيل تدعو لتحمل الذل والمهانة والإهانة من السادة والملوك لعبيدهم: " من يلطمك على خدك الأيمن فأدر له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين " (إنجيل مَتَّى 5: 40-42)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا الطغيان تعود بداياته الأولى عندما ظهر إلى الوجود ما يسمى المسيحية الرسمية في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م، ومنذ ذلك التاريخ والكنيسة تمارس الطغيان الديني والإرهاب في أبشع صورة، ففرضت بطغيانها عقائد التثليث قهرا، وحرَّمت ولعنت مخالفيها، بل سفكت دماء من ظفرت به من الموحدين وأذاقتهم صنوف التعذيب وألوان النكال، ونصبت نفسها عن طريق المجامع المقدسة إلها يحل ويحرم، وليس لأحد حق الاعتراض، أو على الأقل حق إبداء الرأي، كائنا من كان، وإلا فالحِرْمان مصيره واللعنة عقوبته.

لقد كان الختان واجبا فأصبح حراما، وكانت الميتة محرمة فأصبحت مباحة، وكانت التماثيل شِرْكاً ووثنية فأصبحت من التقوى، وكان زواج رجال الدين حلالا فأصبح محظورا، وكان أخذ الأموال من الأتباع منكرا فأصبحت الضرائب الكنسية فرضا لازما، وأمور كثيرة نقلتها المجامع من الحل إلى الحرمة أو العكس دون أن يكون لديها من الله سلطانا أو دليلا أو برهانا، أو ترى في ذلك حرجا، وأضافت الكنيسة إلى لغز "الثالوث" عقائد وآراء أخرى تحكم البديهة والفطرة السليمة باستحالتها، ولكن لا مناص من الإيمان بها والإقرار بشرعيتها، على الصورة التي توافق هوى الكنيسة، كقضية الاستحالة في العشاء الرباني، وعقيدة الخطيئة الموروثة، وعقيدة الصلب والعذراء والطقوس السبعة، كل هذه فرضتها على الأتباع بحجة أنها أسرار عليا لا يجوز الخوض فيها، أو الشك في صحتها.!!

وكان العامل المساعد على إنجاح محاولاتها الذي يتمثل فيه صورة الطغيان الديني احتكارها للمصادر الدينية، فجعل منها ذلك حاجبا، لا يستطيع أحد دخول الملكوت إلا بواسطته، ولا يمكنه الاتصال بالله إلا من طريقه وهي حق لا مرية فيه ما دامت الكنيسة هي التي أقرته إذ هي معصومة من الخطأ منزهه عن الزلل.!!

وعززت الكنيسة سلطتها الدينية الطاغية بادعاء حقوق لا يملكها إلا الله تعالى، مثل حق الغفران وحق الحرمان وحق التّحلة، ولم تتردد في استعمال هذه الحقوق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واستغلالها، فحق الغفران أدى إلى الفضيحة الكبرى في تاريخ الكنيسة المعروفة بصكوك الغفران !!، وحق الحرمان سواء الفردي أم الجماعي عقوبة معنوية بالغة كانت شبحا مخيفا للأفراد والشعوب في آن واحد، يعاقب به كل من خالف أوامر الكنيسة، بل هدد به رجال الكنيسة كثير من الملوك والأباطرة. !!

و حق التّحلة أو التحليل هو حق خاص يبيح للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة – مصلحتها هي – ذلك.

وهي بذلك قد وضعت لنفسها حقوقا وصلاحيات ومبررات لكل أفعالها، سواء وافقت تعاليم النصرانية أم خالفتها.

وحشدت الكنيسة الجيوش الجرارة لمحاربة من سولت له نفسه مخالفة آرائها وعقيدتها، سواء في ذلك المسلمين أم الطوائف النصرانية التي اختلفت مع الكنيسة في قضية من قضايا العقيدة أو الشريعة.

والتاريخ ممتلئ بمثل هذه الحروب التي تحكي لنا ما أوقعه القساوسة من تعذيب وقتل ونكال، ما يتضاءل إزاء بشاعته قصص الوثنيين في قتل الموحدين [1]

ولم يقف الأمر عند هذا الحد لاسيما بعد أن اتضح للكنيسة الأثر الإسلامي الظاهر في الآراء المخالفة لها، فأنشأت شبحا مخيفا مرعبا أطلق عليه اسم: "محاكم التفتيش " التي تقشعر لهول ما ارتكبته الأبدان. وذاق أهل الإسلام في هذه البلاد أنواع التعذيب والاضطهاد وتجرعوا المرارات، ووصل الأمر إلى إبادات جماعية في بلاد الأندلس المسلمة وقتئذ.

---

(1) للمزيد حول هذا الأمر ينظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية للدكتور عدنان النحوي، تهافت العالمانية للدكتور صلاح الصاوي، تحكيم الشريعة ودعاوى العلمانية للدكتور صلاح الصاوي، الدولة العثمانية والغزو الفكري للدكتور خلف الوذيناني، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مجموعة بحوث لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام بالرياض سنة 1396 هجرية ونشرته إدارة الثقافة بالجامعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد مورست في هذه المحاكم أبشع أنواع التعذيب والإيلام، وأزهقت آلاف الأرواح تحت وطأة التعذيب والترويع الذي كان من صوره: إملاء البطن بالماء حتى الاختناق، وسحق العظام بآلات ضاغطة وربط يدي المتهم..!! وراء ظهره، وربطه بحبل حول راحتيه وبطنه ورفعه وخفضه معلقا سواء بمفرده أم مع أثقال تربط به، والأسياخ المحمية على النار، وتمزيق الأرجل، وفسخ الفك. وكثيرا ما كانت تصدر أحكام إعدام حرقا، وكانت احتفالات الحرق جماعية، تبلغ في بعض الأحيان عشرات الأفراد، وكان الملك فرناندو الخامس من عشاق هذه الحفلات. وكان لهم توابيت مغلقة بها مسامير حديدية ضخمة تنغرس في جسم المعذب تدريجيا، وأيضا أحواض يقيّد فيها الرجل ثم يسقط عليه الماء قطرة قطرة حتى يملأ الحوض ويموت. وكانوا يقومون بدفنهم أحياءً، ويجلدونهم بسياط من حديد شائك، وكانوا يقطعون اللسان بآلات خاصة لذلك [1]

وبفضل هذا الإرهاب البالغ والطغيان العاتي، عاش الناس تلك الأحقاب ترتعد قلوبهم وترتجف أوصالهم عند ذكر الكنيسة، ووقف كبار الفلاسفة والنقاد مبهوتين مُطْرقين، لا يجرؤ أحدهم على التصريح بأنه لا يؤمن بالمسيحية مهما كانت آراؤه مخالفة لتعاليمها.

ولم يُداخل أحد من العلماء آنذاك أن يعترض على عقائد الكنيسة الفجة، أو على الأقل يجاهر بمخالفتها، فقد كانت الكنيسة ترى أن خضوع الملوك لها ليس تطوعا

([1]) للمزيد ينظر: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين للدكتور محمد عبد الله عنان، و جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده للدكتور نبيل عبد الحي رضوان، و مقال للدكتور الطاهر مكي بعنوان: مسلم إسباني أمام محاكم التفتيش، مجلة الدوحة، قطر، 1981م، ومقال للدكتور وائل علي حسين بعنوان: محاكم التفتيش والمسئولية الغربية، مجلة الراية، العدد 186، بيروت، 1982م. ويكفيك أن تكتب (محاكم التفتيش) على أي موقع من مواقع البحث في شبكة المعلومات لترى جزء من حقيقة فاجعة، وربما يقربها ما يحدث لمسلمي بورما في عصرنا من إبادة وحرق تقشعر من هولها جلود الموحدين، والله وحده المستعان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منهم بل واجبا يقتضيه مركزها الديني وسلطانها الروحي، فقد جاء في البيان الذي أعلنه البابا نيقولا الأول قوله: " إن ابن الله أنشأ الكنيسة: بأن جعل الرسول بطرس أول رئيس لها، وأن أساقفة روما ورثوا بطرس في تسلسل مستمر متصل ولذلك فإن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين، حكاما كانوا أو محكومين."

أما الطاغية جريجوري السابع، فقد أعلن أن الكنيسة، بوصفها نظاما إلهيا، خليقة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية، ومن حق البابا وواجبه، بصفته خليفة الله في أرضه، أن يخلع الملوك غير الصالحين وأن يؤيد أو يرفض اختيار البشر للحكام أو تنصيبهم، حسب مقتضيات الأحوال.

فكان الباباوات هم الذين يتولون تتويج الملوك والأباطرة، كما كان في إمكانهم خلع الملوك وعزلهم بإرادتهم المحضة، ولم يكن باستطاعة أحد الانفلات من ذلك، ومن رفض الرضوخ فإن حكمه غير شرعي ومن حق البابوية أن تعلن الحرب الصليبية عليه وخلعه.

ولعل خير مثال لذلك حادثة الإمبراطور الألماني هنري الرابع المعروفة مع البابا جريجوري السابع نفسه، فقد نشب خلافا بينهما حول مسألة التعيينات، فحاول الإمبراطور أن يخلع البابا ورد البابا بخلع الإمبراطور وحرمه وأحل أتباعه والأمراء من ولائهم له وألَّبَهم عليه، فعقد الأمراء مَجْمَعا مقدسا قرروا فيه أنه إذا لم يحصل الإمبراطور على المغفرة لدى وصول البابا إلى ألمانيا فإنه سيفقد عرشه إلى الأبد، فوجد الإمبراطور نفسه كالأجرب بين رعيته، ولم يكن في وسعه أن ينتظر وصول البابا فضرب بكبريائه عرض الحائط، واستجمع شجاعته وسافر مجتازا جبال الألب متحملا برد الشتاء الذي كان على أشده، يبتغي المثول بين يدي البابا، وظل واقفا في الثلج في فناء القلعة ثلاثة أيام، في لباس الرهبان متدثرا بالخيش حافي القدمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عاري الرأس، يحمل عكازه مُظْهرا كل علامات الندم وأمارات التوبة، حتى تمكن من الظفر بالمغفرة والحصول على رضا البابا العظيم.!!

هذه صورة واحدة من صور شتى مشابهه تبين تسلط بعض الرجال باسم الدين بعد أن حرّفوه، فحللوا الحرام وحرّموا الحلال، وأخذوا أموال الناس بالباطل، وتحكموا في الملوك والأمراء عزلا وتعيينا.

ومع هذا التسلط السياسي أصبحت الكنيسة أكبر مُلَّاك الأراضي وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربَّة، فكانت تملك ثلث أراضي إنجلترا وتأخذ الضرائب الباهظة من الباقي وفرضت على كل أتباعها ضريبة "العشور" وبفضل هذه الضريبة كانت تضمن الحصول على عُشْرِ ما تغله الأراضي الزراعية والإقطاعيات، وعُشْر ما يحصل عليه المهنيون وأرباب الحرف غير الفلاحين.

وأنا هنا لا أسرد وقائع تاريخية، لكن هذا فقط بيان موجز لحال الرهبان ورجال الكنيسة في تسلطهم وتجبرهم على الناس باسم الدين، فكانت كلمة واحدة منهم (هذا العمل يرضي الرب) كفيلة بعمل ما لا يمكن عمله الشهور والأعوام من خطب الملوك الرنانة، ومن ثم تحكموا في عقول الناس وتوجهاتهم، وعملوا على نشر الخرافات التي تساعدهم على ذلك، إذ جعلتها الكنيسة عقائد إلهية تدخل في صُلب الدين وصميمه، وعدت الكفر بها كفرا بالوحي والدين. وضاق صدرها ذرعا بمن يخالف هذه الترهات، التي هي تعليمات إلهية لا يجب مخالفتها ولا مناقشتها ولا الشك بها، فكان ذلك هو أساس الصراع والمعاداة بين رجال الكنيسة والعلم والعلماء.

هذا العلم الذي كان مصدره الرئيس والأساسي، مراكز الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية وجنوب إيطالية، التي كانت تشع نور العلم والمعرفة على القارة المستغرقة في دياجير الخرافة والجهل، وثارت ثائرة رجال الكنيسة على الذين يتلقون علوم الكفار (المسلمين)، ويُعرِضُون عن التعاليم المقدسة، فأعلنت حالة الطوارئ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ضدهم، وشكلت محاكم التفتيش في كل مكان تتصيدهم وتذيقهم صنوف النكال والعذاب، وبذلك قامت المعركة على قدم وساق وأخذت تزداد سُعَارا بمرور الأيام.

بدأ هذا الصراع منذ أن أعلن كوبرنيكوس نظريته سنة 1543 ميلادية وتتلخص حول مركزية الشمس وكون الأرض جرما يدور في فلكها، وذلك في كتابه "حركات الأجرام السماوية "، وعارض في ذلك نظرية بطليموس التي تعتنقها الكنيسة والتي تجعل الأرض مركز الكون، وتقول: إن الأجرام السماوية كافة تدور حولها، حيث وقع كوبرنيكوس في قبضة محكمة التفتيش، وحرَّمت الكنيسة كتابه، وقالت إن ما فيه هو وساوس شيطانية مغايرة لروح الإنجيل [1]

ثم جاء جاليلو(توفي سنة ١٦٤٢ م) الذي صنع التلسكوب مستفيدا من نظرية العالم المسلم الحسن بن الهيثم في البصريات، فقبض عليه فخشي على نفسه فأعلن ارتداده عن رأيه وهو راكع على قدميه أمام رئيس المحكمة قائلا: " أنا جاليلو وقد بلغت السبعين من عمري سجين راكع أمام فخامتك، والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي، أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادي الخاطئ بدوران الأرض"، وتعهد مع هذا بتبليغ المحكمة عن كل ملحد يوسوس له الشيطان تأييد هذا الزعم المضلل.!!

ثم بدأ العلماء يضيقون ذرعا بالكنيسة وتسلطها، فبدءوا في نشر أفكارهم سِرًا لتكوين جبهة قوية من طلاب العلم تستطيع التصدي لهذا التجبر الكنسي، وفضح خرافاتها ونقض التعاليم الدينية مباشرة، بل وتطبق المنهج العقلي على الكتاب المقدس نفسه ووضع الأسس التي قامت عليها المدرسة العقلية التي ترى الكتب

([1]) للمزيد حول هذه الصراعات ينظر: العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة من كوبرنيق إلى هيوم للدكتور أيوب أبو دية، دار الفارابي بيروت 2009

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدسة تراثا بشريا وليست وحيا إلهيا، من أمثال: ديكارت وسبينوزا وجون لوك وطالبوا بإخضاع الوحي للعقل.

وقد تعرضت كتب ديكارت وسبينوزا ولوك وأضرابهما للحرق والمصادرة، كما تعرضوا شخصيا للإيذاء والمضايقة من قِبَل رجال الكنيسة. إلا أن تفجر البركان العلمي في كل مكان بدأ في إضعاف موقف الكنيسة، فحاولت عبثا إخفاء هذا الضعف بمزيد التنكيل والتعذيب.

وكان العلم قد بدأ في الانتشار وبدأت النظريات العلمية في الرواج، وبدأ نيوتن (ولد في نفس العام الذي توفي فيه جاليلو سنة ١٦٤٢ م) في إثبات نظرياته الفيزيائية التي تعد تتميما لما بدأه جاليليو وأقرانه، وزاد قبول الناس على العلم حتى جاءت الحلقة الفاصلة من خلال ما عُرف بأحداث الثورة الفرنسية التي اندلعت عام 1789 وامتدت حتى 1799ميلادية، حيث تم إعلان الجمهورية وإلغاء الملكية في سبتمبر 1792م، وأعدم الملك لويس السادس عشر في العام التالي. وامتد تأثير الثورة الفرنسية في أوربة، التي عانت جميعها من ظلم الكنيسة ورجالها بإعلان ما عرف بالجمهوريات والديمقراطيات الليبرالية وانتشار العلمانية.

و يرجع أصل كلمة علمانية إلى الكلمة اللاتينية (SECULARISM) وترجمتها الصحيحة هي: اللادينية أو الدنيوية، بمعنى ما لا علاقة له بالدين، وذلك لفصل الكنيسة ورجالها عن الحياة، ويؤكد هذه الترجمة ما ورد في دائرة المعارف البريطانية في مادة (SECULARISM): هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها.

ويؤكد أن معنى ترجمة الكلمة اللاتينية هي اللادينية؛ ما أورده معجم أكسفورد شرحاً لكلمة (SECULAR):

(1) دنيوي أو مادي، ليس دينيا ولا روحيا مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(2) الرأي الذي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساسا للأخلاق والتربية.

وهذا الاسم ليس له صلة بالعلم لأنه أصل الكلمة باللاتينية ليس له علاقة بالعلم، والذين ابتدعوها لم يريدوا بها العلم من قريب ولا من بعيد. ولو أرادوه لاستخدموا ما يشير إلى النسبة إلى العلم هي (SCIENTIFIC) لأن العلم بالإنجليزية (SCIENCE) فتكون النسبة إليه (علمي) وليس علماني.

هذا معنى الكلمة عند من اخترعها كما فسروها في معاجمهم.

وظل الاتجاه إلى اللادينية يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة ليس للدين المسيحي فقط بل كل الأديان، لأنهم اعتبروا أن كل رجال الدين سواء لا فرق بينهم..!!

وانحصر الدين وانتشر الإلحاد بجميع صوره وأشكاله في حياة الغربيين وذلك نتيجة لهزيمة الكنيسة ورجالها المتسلطين في مواجهة العلمانية، وعملوا على تنحية وإبعاد الدين عن شئون الحياة العامة، واقتصاره على الجانب الفردي الاختياري في حياة الإنسان، ولأول مرة في تاريخ البشرية تقوم دول وأنظمة عالمية تتبنى الإلحاد في أشد صوره غلوا وتطرفا ومادية.

منذ نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر ومع التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهده الغرب، بدأت بوادر تيارات أعلنت استقلالها عن فكرة وجود الخالق الأعظم. هذا العصر كان عصر كارل ماركس، وتشارلز داروين، وفريدريك نيتشه، وسيغموند فرويد، الذين بدءوا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية بطريقة لم يكن لفكرة الخالق الأعظم أي دور فيها. بل واعتبرت الدين شيئا مُضِرا يجب أن يهجره الناس ويبتعدون عنه، ومن هنا قال ماركس قولته الشهيرة: (الدين أفيون الشعوب)، وهي مقالة صادقة كل الصدق على دين الكنيسة المحرف، ولكنها كاذبة كل الكذب حين تطلق على الإسلام، وهو الدين المنزل من عند الله تعالى والذي حفظه من أي تحريف أو تبديل، بل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأنفق علماء الشريعة الأجلاء الغالي والنفيس في جمعه وحفظه، وتعلمه وتعليمه، بخلاف ما فعل رجال الكنيسة.

لقد كان للنظام الاجتماعي الظالم في أوربة ومساندة الكنيسة له أثرًا خطيرًا في الحياة والفكر الغربي، فقد تم الربط بين الإقطاع والدين، حيث كان النظام الإقطاعي في عنفوان شبابه، في الفترة نفسها التي كانت المسيحية فيها في أوج عظمتها، ثم كان انهيار النظام موازيا لانهيار الكنيسة، واستنتجت أوربَّة في عصر النهضة من ذلك معادلة خاطئة، وهي أن المجتمع الإقطاعي طبقي ظالم لأنه متدين، فزوال الظلم من المجتمع يستلزم نبذ الدين كلية، أو على الأقل عزله عن التأثير في مجريات الأحداث ؛ وتلك كانت نظرية الكُتَّاب الطبيعيين الذين وضعوا نواة الفكر الرأسمالي الحديث.

و ساهم في هذه الحركة الموقف الهش للديانة المسيحية المحرفة في القرون الوسطى وما تلاها، نتيجة للحروب والجرائم والانتهاكات التي تمت في أوربة باسم الدين، ونتيجة تعامل الكنيسة الكاثوليكية بما اعتبرته هرطقة أو خروجا عن مبادئ الكنيسة.

ولم يقف الأمر عند العلماء فحتى الأدباء أعلنوا وفاة فكرة الدين والخالق، ومن أبرز الشعراء في هذه الفترة هو وليم بليك (1757 - 1827) حيث قال في قصائده: إن الدين أبعد الإنسان من إنسانيته بفرضه قوانين تعارض طبيعة البشر من ناحية الحرية والسعادة، وأن الدين جعل الإنسان يفقد حريته واعتماده على نفسه في تغير واقعه.

وبدأت تدريجيا وخاصة على يد الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (1788 - 1860) بروز فكرة أن "الدين هو من صنيعة البشر، ابتكروها لتفسير ما هو مجهول لديهم من ظواهر طبيعية أو نفسية أو اجتماعية، وكان الغرض منه تنظيم حياة مجموعة من الناس حسب ما يراه مؤسس الدين مناسبا، وليس حسب الحاجات الحقيقية للناس الذين عن جهل قرروا الالتزام بمجموعة من القيم البالية، وأنه من المستحيل أن تكون كل هذه الديانات من مصدر واحد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالإله الذي أنزل المصائب على المصريين القدماء، وقتل كل مولود ليخرج اليهود من أرض مصر، ليس هو نفس الإله الذي ينصحك بأن تعطي خدك الآخر ليتعرض للصفع دون أن تعمل شيئا ".

وتزامنت هذه الأفكار مع أبحاث تشارلز داروين الذي كان مناقضا تماما لنظرية نشوء الكون في الكتاب المقدس وظن جهلا أنه أبدع نظرية جديدة (الداروينية).

وأعلن فريدريك نيتشه من جانبه موت الخالق الأعظم وقال: إن الدين فكرة عبثية وجريمة ضد الحياة، إذ إنه لم يفهم فكرة التكليف التي يقول بها الدين، وهي أن يعطيك الخالق مجموعة من الغرائز والتطلعات وفي نفس الوقت يصدر تعاليم بحرمانك منها في الحياة ليعطيك إياها مرة أخرى بعد الموت، خصوصا وأن رجال الدين في أوربَّة آنذاك كانوا يميلون إلى الرهبانية والانقطاع عن الدنيا. وهكذا أخذت أفكار الملحدين في هذه المرحلة منحنى النفور من الدين لتناقض العقل مع تصرفات وتعاليم الكنيسة.

واعتبر كارل ماركس الدين أفيون الشعوب يجعل الشعب كسولا وغير مؤمن بقدراته في تغيير الواقع، وأن الدين تم استغلاله من قبل الطبقة البرجوازية لسحق طبقة البسطاء، أما سيغموند فرويد فقد قال: إن الدين هو وهم كانت البشرية بحاجة إليه في بداياتها، وأن فكرة وجود الإله هي محاولة من اللاوعي للوصول إلى الكمال في شخص يكون مثلا أعلى بديلا لشخصية الأب، إذ إن الإنسان في طفولته حسب اعتقاد فرويد ينظر إلى والده كشخص متكامل وخارق، ولكن بعد فترة يدرك أنه لا وجود للكمال، فيحاول اللاوعي إيجاد حل لهذه الأزمة بخلق صورة وهمية لشيء اسمه الكمال.

كل هذه الأفكار وبصورة تدريجية ومع التغيرات السياسية التي شهدتها فرنسا بعد الثورة الفرنسية وبريطانيا وإيطاليا كان الاتجاه السائد في أوربَّة هو: فصل السياسة عن الدين، وتنحية الدين جانبا عن شئون الحياة، وإلغاء العديد من القيود على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التعامل والتعبير التي كانت مفروضة من السلطات السابقة التي كانت تأخذ شرعيتها من رجالات الكنيسة. وعندما بدأ الاستعمار [1] الأوروبي للعالم الإسلامي حيث تحولت الجزائر إلى مستعمرة فرنسية عام 1830، وتحولت اليمن في عام 1882 إلى مستعمرة بريطانية، وبين دول الغرب الثائرة تحولت كثير من الدول إلى مستعمرات: مصر، تونس، السودان، ليبيا، المغرب..وغيرها، هنا بدأ احتكاك جديد لأول مرة بين قوى متطورة من الناحية العلمية والتكنولوجية ولا تعترف بأي دور للدين في السياسة، وبين مسلمين أدركوا أن ركب التقدم قد فاتهم ولكنهم في قرارة أنفسهم كانوا لا يزالون يؤمنون بأنهم "خير أمة أخرجت للناس"، فظهر في الطريق خياران لا ثالث لهما إما اللحاق بالتقدم الغربي من خلال **التقليد والمحاكاة** والعلاقات الجيدة، أو القناعة بأن ما آل إليه حال المسلمين من خضوع يكمن سببه في الابتعاد عن أصول الدين الإسلامي. فاختاروا الرجوع إلى المصادر الأولى للدين لينهلوا منها تعاليمه السامية ويسيروا على درب السلف.

والذين تمسكوا بالإسلام بعضهم فهمه معنى ومضمونا وعرف مدى استيعابه للمتغيرات، وفريق آخر حاول الجمع بين الإسلام وحضارة الغرب فأخذوا مصطلحات الغرب وألبسوها ثوب الإسلام زعموا، فأصبحنا نسمع (الديمقراطية

([1]) انتقد العلامة البشير الإبرهيمي رحمه الله استعمال هذه الكلمة في هذا السياق فقال في مقالة له نشرت في جريدة البصائر عدد(1) سنة 1947م تحت عنوان: كلمات مظلومة:" مادة هذه الكلمة هي العمارة، ومن مشتقاتها التعمير، والعمران وفي القرآن:"هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"(هود 61)، فأصل هذه الكلمة في لغتنا طيب، وفروعها طيبة، ومعناها القرآني أطيب وأطيب، ولكن إخراجها من المعنى العربي الطيب إلى المعنى الغربي الخبيث، ظلم لها ...فالذي سير هذه الكلمة بغيضة إلى النفوس، ثقيلة على الأسماع، مستوخمة في الأذواق، هو معناها الخارجي وهو معنى مرادف للإثم والبغي والخراب والظلم والتعدي والفساد والنهب والسرقة والشره والقسوة والانتهاك والقتل والحيوانية ..!! إلى عشرات بل مئات من هذه الرذائل تفسرها آثاره، وتنجلي عنها وقائعه وواعجبا تضيق الأوطان على رحبها بهذه المجموعة وتحملها كلمة لا تمت إلى واحد منها بنسب "

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلامية، والأحزاب الدينية، والدولة المدنية) وغيرها مما هو دخيل على المسلمين لفظا ومعنى.

هكذا تسربت أفكار الإلحاد إلى بلاد المسلمين، رويدا رويدا عن طريق الاحتلال المسمى بالاستعمار، والبعثات العلمية لبلاد الغرب الملحد، ثم الطفرة الهائلة في التِّقَانة ووسائل الاتصال، التي زادت من اتصال الشرق بالغرب والشمال بالجنوب، ساعد على ذلك انبهار كثير من المسلمين بحضارة الغرب وتقدمهم في العلوم، فأخذوا يحاكونهم ويقلدونهم ويأخذون عنهم، وهذه سنة الأمم الضعيفة المنهزمة في تقليد الأمم المنتصرة كما قال ابن خلدون في مقدمته !!

يقول ابن خلدون: " الفصل الثالث والعشرون في أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونِحْلَته وسائر أحواله وعوائده.

والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء، أو لما تراه والله أعلم من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب، تغالط أيضا بذلك عن الغلب وهذا راجع للأول، ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب، في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله، وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم، وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله.

وتأمل في هذا سر قولهم: " العامة على دين الملك " فإنه من بابه، إذ الملك غالب لمن تحت يده، والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم، والمتعلمين بمعلميهم، والله العليم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق. " انتهى

والعجيب أن من رام العلوم من أبناء بلادنا ذهب ينهل من مستنقعات الغرب، وهم إنما أخذوا العلوم عنا وسرقوا مخطوطاتنا وكتبنا، عندما أدركوا أن تقدمنا عليهم في الزمن الماضي كان قائما على علوم لم يعرفوها أو يسمعوا عنها، فنزلوا بلاد الإسلام وأخذوا ما استطاعوا من الكتب شراءً أو سرقة أو حسب ما تيسر، ثم راحوا يستشرقون (يدرسون علوم الشرق) ليفهموا كيف تقدمنا عليهم، وما كتبوه في هذا الأمر (أقصد كتابات المستشرقين) إنما كتبوه لأبناء جلدتهم لا خدمة لأمتنا أو للإنسانية كما يزعم الأغتام الأغمار.

والعجب ليس فيما فعلوا، لأنهم فعلوا ذلك خدمة لأمتهم، لكن العجب في بعض أبنائنا الذين يلهثون ثرى الغرب بغثِّه وسمينه وضغثه وإبالته، هذا التقليد الأعمى المسْتَعمِي دون وعي لحقائق الأمور هو الذي يورد المهالك، وفي الإمكان أن يكون الأمر أفضل من ذلك.

" لقد بزغ نجم العلمانية وعلا شأنه في الغرب في ظل الظروف التي أشرنا إليها، وقد صاحب ظهورها في الغرب انحطاط وتخلف وهزائم في الشرق، مما أتاح للغرب أن يستلم زمام قيادة ركب الحضارة البشرية بما أبدعه من علم وحضارة، وما بذله من جهد وتضحية، فكان أمرا طبيعيا أن يسعى الغرب لسيادة نموذجه الحضاري الذي يعيشه، وأن يُسَوقه بين أمم الأرض لأنه بضاعته التي لا يملك غيرها، ولأنه أيضا الضمانة الكبرى لبقاء الأمم الأخرى تدور في فلك التبعية له وتكدح في سبيل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مدنيته وازدهار حضارته، وكان تسويق الغرب للعلمانية ونقلها للشرق الإسلامي من خلال الوسائل والطرق الآتية:

1- من خلال الاحتلال العسكري الاستعماري:

فقد وفدت العلمانية إلى الشرق في ظلال الحرب العسكرية، وعبر فوهات مدافع البوارج البحرية، ولئن كانت العلمانية في الغرب نتائج ظروف ومعطيات محلية متدرجة عبر أزمنة متطاولة، فقد ظهرت في الشرق وافدا أجنبيا متكامل الرؤى والأفكار والبرامج، يطبق تحت تهديد السلاح وبالقسر والإكراه، كمن يصرّ على استنبات نبتات القطب الجليدي في المناطق الاستوائية، وفي هذا من المصادمة لسنن الله في الحياة ما يقطع بفشل التجربة قبل تطبيقها، لأن الظروف التي نشأت فيها العلمانية وتكامل مفهومها عبر السنين تختلف اختلافا جذريا عن ظروف البلدان التي جلبت إليها جاهزة متكاملة في الجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتاريخية والحضارية، فالشرط الحضاري الاجتماعي التاريخي الذي أدى إلى نجاح العلمانية في الغرب مفقود في الشرق بل في الشرق نقيضة تماما - وأعني بالشرق هنا الشرق الإسلامي - ولذلك فلا عجب إن كانت النتائج مختلفة تماما كما سنرى، وحين نشأت الدول العربية الحديثة كانت عالة على الغربيين الذين كانوا حاضرين خلال الهيمنة الغربية في المنطقة ومن خلال المستشارين الغربيين أو من درسوا في الغرب واعتنقوا العلمانية، فكانت العلمانية في أحسن الأحوال أحد المكونات الرئيسية للإدارة في مرحلة تأسيسها، وهكذا بذرت بذور العلمانية على المستوى الرسمي قبل جلاء جيوش الاستعمار عن البلاد التي ابتليت بها.

2- من خلال البعثات التي ذهبت من الشرق إلى الغرب لطلب العلم والتقدم

فعاد كثير منها بالعلمانية لا بالعلم، ذهبوا لدراسة الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والرياضيات فعادوا بالأدب واللغات والاقتصاد والسياسة والعلوم الاجتماعية والنفسية، بل وبدراسة الأديان خصوصا الدين الإسلامي في الجامعات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغربية، ولك أن تتصور حال شاب مراهق ذهب يحمل الشهادة الثانوية ويلقى به بين أساطين الفكر العلماني الغربي على اختلاف مدارسه، بعد أن يكون قد سقط إلى شحمة أذنيه في حمأة الإباحية والتحلل الأخلاقي وما أوجد كل ذلك لديه من صدمة نفسية واضطراب فكري، ليعود بعد عقد من السنين بأعلى الألقاب الأكاديمية، وفي أهم المراكز العلمية بل والقيادية في وسط أمة أصبح ينظر إليها بازدراء، وإلى تاريخها بريبة واحتقار، وإلى قيمها ومعتقداتها وأخلاقها – في أحسن الأحوال – بشفقة ورثاء. إنه لن يكون بالضرورة إلا وكيلا تجاريا لمن علّموه وثقّفوه ومدّنوه !!، وهو لا يملك غير ذلك، ولئن كان هذا التوصيف للبعثات الدراسية ليس عاما، فإنه الأغلب وبالذات في أوائل عصر البعثات، وما " طه حسين " و" رفاعة الطهطاوي " إلا أمثلة خجلى أمام غيرهم من الأمثلة الصارخة الفاقعة اللون مثل " زكي نجيب محمود" و" محمود أمين العالم " و"فؤاد زكريا" و"عبد الرحمن بدوي" وغيرهم كثير. ولئن كان هذا الدور للبعثات العلمية تم ابتداء من خلال الابتعاث لعواصم الغرب فإن الحواضر العربية الكبرى مثل "القاهرة – بغداد – دمشق" أصبحت بعد ذلك من مراكز التصدير العلماني للبلاد العربية الأخرى، من خلال جامعاتها وتنظيماتها وأحزابها وبالذات لدول الجزيرة العربية، وقلّ من يسلم من تلك اللوثات الفكرية العلمانية، حتى أصبح في داخل الأمة طابور خامس، وجهته غير وجهتها وقبلته غير قبلتها، وإنهم لأكبر مشكلة تواجه الأمة لفترة من الزمن ليست بالقليلة.

3- من خلال البعثات التنصيرية المسماه (تبشيرية):

فالمنظمات التبشيرية النصرانية التي جابت العالم الإسلامي شرقا وغربا من شتى الفرق والمذاهب النصرانية، جعلت هدفها الأول زعزعة ثقة المسلمين في دينهم، وإخراجهم منه، وتشكيكهم فيه، حتى وإن لم يعتنقوا النصرانية، وليس أجدى من العلمانية وسيلة لهذا الغرض، والأمر ليس من باب التخمين والافتراض بل نطقت بهذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أفواههم وخطته أقلامهم، وإن شئت فارجع إلى كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" مثلا ليبين لك ذلك.

وهؤلاء المبشرين: إما من الغربيين مثل "زويمر" و"دنلوب"، وإما من نصارى العرب مثل "أديب إسحق" و"شلبي شميل" و"سلامة موسى" و"جرجي زيدان" وأضرابهم. ومنهم من كان يعلن هويته التبشيرية ويمارس علمنة أبناء المسلمين "كزويمر"ومنهم من كان يعلن علمانيته فقط، ويبذل جهده في ذلك "كسلامة موسى"و"شلبي شميل".

4- من خلال المدارس والجامعات الأجنبية:

ففي أواخر الدولة العثمانية وحين سيطر الماسونيون العلمانيون على مقاليد الأمر سمح للبعثات التبشيرية والسفارات الغربية بإنشاء المدارس والكليات، وانتشرت في بلاد الشام والأناضول انتشار النار في الهشيم، وخرجت أجيال من أبناء وبنات المسلمين أصبحوا بعد ذلك قادة الفكر والثقافة ودعاة التحرير والانحلال. ومن الأمثلة على ذلك الجامعة الأمريكية في بيروت، والتي في أحضانها نشأت العديد من الحركات والجمعيات العلمانية، وقد سرت العدوى بعد ذلك إلى كثير من الجامعات والمؤسسات التعليمية الرسمية في العديد من البلاد العربية والإسلامية، وقد قام خريجو هذه المدارس والجامعات بممارسة الدور نفسه حين عادوا لبلدانهم أو ابتعثوا للتدريس في بعض البلدان الأخرى، وإن المتابع لما ينشر من مذكرات بعض العلمانيين في البلاد التي لم تبتلى بهذه المدارس ليتبين له بجلاء ووضوح الدور الكبير الذي قام به العلمانيون العرب من الذين استقدموا للتدريس في تربية طلابهم وإقناعهم بالعلمانية، سواء من خلال التنظيمات الحزبية أم من خلال البناء الفكري الثقافي لأولئك الطلاب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

5- من خلال الجمعيات والمنظمات والأحزاب العلمانية

التي انتشرت في الأقطار العربية والإسلامية، مابين يسارية وليبرالية وقومية وأممية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية، بجميع الألوان والأطياف وفي جميع البلدان، حيث إن النخب الثقافية في غالب الأحيان كانوا من خريجي الجامعات الغربية أو الجامعات السائرة على النهج ذاته في الشرق، وبعد أن تكاثروا في المجتمع عمدوا إلى إنشاء الأحزاب القومية أو الشيوعية أو الليبرالية، وجميعها تتفق في الطرح العلماني، وكذلك أقاموا الجمعيات الأدبية والمنظمات الإقليمية أو المهنية، وقد تختلف هذه التجمعات في أي شيء إلا في تبني العلمانية، والسعي لعلمنة الأمة كل من زاوية اهتمامه، والجانب الذي يعمل من خلاله.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن أشهر الأحزاب العلمانية القومية العربية إنما أسسها نصارى بعضهم ليسوا من أصول عربية، أمثال "ميشيل عفلق" و"جورج حبش"، والكثرة الساحقة من الأحزاب الشيوعية العلمانية إنما أسسها يهود مليونيرات أمثال "كوريل".

6- من خلال البعثات الدبلوماسية:

سواء كانت بعثات للدول الغربية في الشرق، أم للدول الشرقية في الغرب، فقد أصبحت في الأعم الأغلب جسورا تمر خلالها علمانية الغرب الأقوى إلى الشرق الأضعف من خلال الإيفاد، ومن خلال المنح الدراسية وحلقات البحث العلمي، والتواصل الاجتماعي، والمناسبات والحفلات، ومن خلال الضغوط الدبلوماسية والابتزاز الاقتصادي، وليس بِسِرٍّ أن بعض الدول الكبرى أكثر أهمية وسلطة من القصر الرئاسي أو مجلس الوزراء في تلك الدول الضعيفة التابعة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

7- من خلال وسائل الإعلام المختلفة:

من مسموعة أو مرئية أو مقروءة، لأن هذه الوسائل كانت من الناحية الشكلية من منتجات الحضارة الغربية- صحافة أو إذاعة أو تلفزة - فاستقبلها الشرق واستقبل معها فلسفتها ومضمون رسالتها، وكان الرواد في تسويق هذه الرسائل وتشغيلها والاستفادة منها إما من النصارى أو من العلمانيين من أبناء المسلمين، فكان لها الدور الأكبر في الوصول لجميع طبقات الأمة، ونشر مبادئ وأفكار وقيم العلمانية، وبالذات من خلال الفن، وفي الجانب الاجتماعي بصورة أكبر.

هكذا سرت العلمانية في كيان الأمة، ووصلت إلى جميع طبقاتها قبل أن يصلها الدواء والغذاء والتعليم في كثير من الأحيان، فكان كما يقول المثل "ضغثٌ على إبالة"، ولو كانت الأمة حين تلقت هذا المنهج العصري تعيش في مرحلة قوة وشموخ وأصالة لوظفت هذه الوسائل الإعلامية توظيفا آخر يتفق مع رسالتها وقيمها وحضارتها وتاريخها وأصالتها.

8- من خلال التأليف والنشر في فنون شتى من العلوم وبالأخص في الفكر والأدب:

فقد جاءت العلمانية وافدة في كثير من الأحيان تحت شعارات المدارس الأدبية المختلفة، متدثرة بدعوى رداء التجديد والحداثة، معلنة الإقصاء والإلغاء والنبذ والإبعاد لكل قديم في الشكل والمضمون وفي الأسلوب والمحتوى، ومثل ذلك في الدراسات الفكرية المختلفة في علوم الاجتماع والنفس والعلوم الإنسانية المختلفة، حيث قدمت لنا نتائج كبار ملاحدة الغرب وعلمانييه على أنه الحق المطلق، بل العلم الأوحد ولا علم سواه في هذه الفنون. وتجاوز الأمر التأليف والنشر إلى الكثير من الكليات والجامعات والأقسام العلمية التي تنتسب لأمتنا اسما ولغيرها حقيقة، وإن كان الأمر في أقسام العلوم الأخرى من طب وهندسة ورياضيات وفيزياء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكيمياء وأمثالها يختلف كثيرا ولله الحمد والمنة، وهي الأقسام التي وجهها أبناء الأمة الأوفياء ممن لم يتلوثوا بلوثات العلمانية، فحاولوا أن ينقلوا للأمة ما يمكن أن تستفيد منه من منجزات التقدم الغربي مع الحفاظ على هويتها وأصالتها وقيمها.

9- من خلال الشركات الغربية الكبرى التي وفدت لبلاد المسلمين مستثمرة في الجانب الاقتصادي:

لكنها لم تستطع أن تتخلى عن توجهاتها الفكرية، وقيمها وأنماط حياتها الاجتماعية، وهذا أمر طبيعي، فكانت من خلال ما جلبته من قيادات إدارية وعمالة فنية احتكت بالشعوب الإسلامية سببا مهما في نشر الفكر العلماني وقيمه الاجتماعية وانعكاساته الأخلاقية والسلوكية، ولعل من المفارقات الجديرة بالتأمل، أن بعض البلدان التي كانت تعمل فيها بعض الشركات الغربية الكبرى من أمريكية وبريطانية لم تبتلى بالتنظيمات اليسارية، ولم تنشأ إلا في هذه الشركات في أوج اشتعال الصراع بين المعسكر الشيوعي والمعسكر الغربي."[1]

وقد استهدفت هذه الحملات العلمانية كل الدول الإسلامية، على أن أكثرها استهدافا خاصة في إرهاصاتها الأولى كان مقر الخلافة العثمانية (تركيا).

حيث بدأت حركة التغريب في عهد السلطان محمود الثاني الذي تولى الحكم في القرن الثامن عشر الميلادي، حيث قام بإنشاء جيش جديد على غرار الجيوش الأوروبية، واستبدل بالقوانين الإدارية قوانين جديدة على غرار القوانين الأوروبية، كما أصدر قوانين تتعلق باللباس وأجبر الموظفين والعسكريين على لبس الطربوش وحلق اللحية، وقد لاقت هذه التغييرات معارضة قوية من قبل الشعب حيث أطلق على السلطان لقب (السلطان الكافر).

---

(1) ينظر: العلمانية .. التاريخ والفكرة د . عوض بن محمد القرني مقال على موقع صيد الفوائد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي العام 1860م تبين أن التنظيمات ليست كافية لجعل الدولة العثمانية دولة متقدمة في مصاف الدول الأوروبية، وكان لا بد من القيام بثورة جديدة من أجل تحقيق ذالك.

وقد قاد المعارضة للنظام السياسي نامق كمال، وضياء كوك ألب، كما أن الشباب الذين تأثروا بالثقافة الفرنسية أثناء وجودهم في فرنسا لطلب العلم شكلوا جمعية الشباب العثماني عام 1865م وقاموا بإعداد دستور جديد وطالبوا بفتح البرلمان وإعطاء السيادة في الحكم للشعب، ونتيجة لعملهم السري والمعلن في الخارج والداخل استطاعوا الوصول لبناء أرضية للنظام البرلماني والسياسي الجديد الذي شكل القاعدة للنظام العلماني في البلاد.

وإذا كان ما سبق يمثل الإرهاصات الأولى للعلمانية في إمبراطورية إسلامية فإن تولي المرتد مصطفي كمال أتاتورك الحكم بعد حرب التحرير وضع للعلمانية قواعد وأسسا ظلت راسخة حتى يومنا بشكل أو بآخر.

في البدء لم يظهر أتاتورك أي مظاهر معادية للدين، بل إنه بعد أن قاد حرب التحرير قام بممارسات ذات طابع ديني، حيث ألقى خطبة الجمعة في مدينة بالي كسير، وعندما ترأس المجلس الوطني الكبير عين مساعدين له من شيوخ الطرق الصوفية، (قارن بين هذه الأفعال وأفعال محمد على بداية توليه الحكم في مصر) ولكن أتاتورك لم يخف نياته طويلا، وما لبث أن قام بحملة على المجتمع التقليدي في تركيا والمظاهر الدينية التي تمثل أبرز معالمه، وحارب ممارسات المجتمع وقمع رموزه مع إعلان الجمهورية العلمانية في 29 أكتوبر 1923م، ثم ألغى الخلافة الإسلامية في العام التالي وبعدها المحاكم الشرعية الدينية، وبدأ منذ العام 1925م في تغريب تركيا ثقافة وحضارة وممارسات، وتكريس دور الجيش كحارس للنظام العلماني الجديد.

في الوقت نفسه كانت مصر تتعرض لحملات تغريبية ذاقت منها الويلات، فبين نار الاستعمار الإنجليزي، وجحيم الصراعات السياسية عانت البلاد من انتشار أفكار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستغربين من أبناء البلاد الذين رجعوا من بعثات تغريبية في بلاد العلمانية، أو تشبعوا بأفكارهم من الكتب الواردة مع الاحتلال.

ومن ثم يمكن القول: إن الإلحاد المعاصر في بلاد الإسلام يمكن تفسيره على أنه الموجة الثانية للفصل بين الإسلام والحياة بعد فشل المحاولة الأولى التي حاول بعض المستغربين استيرادها من النموذج الأوروبي من خلال العلمانية والليبرالية التي انتشرت بعد الثورة الصناعية.

فبعد إسقاط الخلافة الإسلامية (العثمانية) حاول مصطفي كمال أتاتورك (1881 - 1938) بناء دولة علمانية وإلحاق تركيا بالمجتمع الأوروبي فقام بإغلاق جميع المدارس الإسلامية ومنع ارتداء العمامة والحجاب[1] أو أي رموز أخرى فيها إشارة إلى الدين الإسلامي، بل وألزم الأتراك (المسلمين) بلبس القبعة، وألغى العيدين واستبدل عيد الجمعة بعيد الأحد، ومنع الصلاة في مسجد آية صوفيا أكبر مساجد العاصمة وحوله إلى متحف، وألغى اللغة العربية ومنع استخدامها نهائيا، وأجبرهم على الكتابة من اليسار لليمين، وألغى الزواج الشرعي وجعله مدنيا، ومنع تعدد الزوجات، وأوقف العمل بالتقويم الهجري واستبدله بالميلادي.

وفي إيران تأثر الشاه رضا خان الذي حكم من 1925 إلى 1941م بمبادرة أتاتورك فقام بمنع الحجاب، وأجبر رجال الدين على حلق لحاهم، وحذا حذوه في كثير من إلحاده، ولكن هذه المحاولات لكونها مفاجئة وقهرية ومعارضة للإسلام الذي ظل منتشرا لأكثر من ألف عام كانت ظاهرية إلى حد كبير وظل الدين كامنا في نفوس المسلمين.

---

(1) من المفارقات الغريبة أن زوجة كمال أتاتورك كانت تلبس الحجاب ..!!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما فكرة الإلحاد التي انتشرت في أوربَّة فقد كانت موجهة ضد تدخل رجال الكنيسة الكاثوليكية في السياسة والعلم، ولم تكن لها نظرة شمولية عن الأديان الأخرى، بل ظهرت لمعالجة ظروف محددة ووضع متفاقم، لا يمكن تعميمه.

ولكن في النهاية وللأسف نجحت المحاولات في إدخال الفكر العلماني الإلحادي إلى بلاد الإسلام.

ومن أهم أسباب هذا النجاح ظهور بعض الحركات المنتسبة للإسلام تحت غطاء التجديدية والانفتاح، والتي حاول أصحابها إحياء أفكار الغرب في بلاد الإسلام وبروح إسلامية –إن صح التعبير– بين المسلمين مستغلين الانحطاط الثقافي والديني في بلاد المسلمين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثاني: الماسونية والإلحاد[1]

أصل الكلمة (ماسون أو ميسن) التي تعني بالإنجليزية والفرنسية: بَنَّاء، وأحيانا يضيفون لها كلمة: فِرِي، التي تعني بالإنجليزية: حُر، فيكون معنى الماسونية: البنائيين أو البنائيين الأحرار.

وبعض الباحثين يُرجع أصل الكلمة إلى أنها تحريف لاسم نبي الله موسى عليه السلام، ولكنه احتمال ضعيف جدا وبعيد عن الصواب، وذلك لأن اسم موسى ينطقه اليهود (مُوشيه)، واللغة العبرية دائما تقلب حرف السين إلى حرف الشين. كما في كلمات (شمس، وإسمعيل، ويوسف) فتنطق بالعبرية (شيمِش، يِشْمعيل، يوشِيف)، والماسونية في أصلها تعتمد على اللغة العبرية كما سيظهر لاحقا، لذا يبدو أنهم اختاروا اسما من حروف أصلها لاتيني تشترك فيها أكثر من دولة من دول أوربة بحثا عن العالمية من ناحية، وسهولة التدليس في المعنى والتوغل في المجتمعات من ناحية أخرى.

يُرجع بعض الباحثين تأسيس الماسونية إلى الملك هيرودس إكريبا (ت 44م) ملك الرومان بمساعدة مستشارَيه اليهوديَّيْنِ: حيرام أبيود: نائب الرئيس، وموآب لامي: كاتم سر أول. وسموا محفلهم، (هيكل أو أورشليم) للإيهام بأنه هيكل نبي الله سليمن عليه السلام الذي بناه بالقدس، وأنهم سيعيدون اكتشافه وبناءه أو ترميمه لذا سموا أنفسهم البنَّائيين !!

ويردد الماسونيون كثيرا قول: " المهندس الأعظم للكون" التي تشير إلى الخالق سبحانه، إلا أن بعضهم يردها إلى مهندس هيكل سليمن الذي يطلقون عليه:

---

(1) للمزيد في هذا الموضوع ينظر: الماسونية سرطان الأمم لأبي إسلام أحمد عبد الله، الماسونية تحت المجهر لإبرهيم عباس، الماسونية في أثوابها المعاصرة لسعد الدين صالح، الماسونية وموقف الإسلام منها لحمود الرحيلي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حيرام أبيف، وذلك على اعتبار أن الكون رمز للهيكل !! وهذا يدل على ارتباطهم بفكرة التأسيس الأولى.

وكان السبب الرئيس لقيامها ونشأتها مواجهة النصرانية، فكان هدفها الأول التنكيل بالنصارى واغتيالهم وتشريدهم ومنع دينهم من الانتشار، لذا عملت في الخفاء، واستخدم القائمون عليها الرموز والإشارات كنوع من التخويف، والإيهام بالقوم والتنظيم، وسموها(القوة الخفية)، وكان هذا أحد انحرافات اليهود عن شريعتهم التي جاء بها موسى عليه السلام.

وإلى الآن لهم عصابات إرهابية لتنفيذ العمليات الإجرامية للتخلص من كل من يقف في طريقهم، أو ينشق عنهم ويكشف أسرارهم.

وبعد عهد التأسيس بدأ الانتشار والنفوذ فتسمت بالماسونية لتتخذ من نقابة البنائين الأحرار لافتة تعمل من خلالها، وليتسع نشاطها ويتطور بتطور التقانة والأدوات والوسائل.

فالماسونية يهودية صِرفة من الناحية الفكرية، ومن حيث الأهداف والوسائل والفلسفة، هي كما قال بعض المؤرخين: آلة صيد بيد اليهودية يصرعون بها الساسة ويخدعون عن طريقها الأمم والشعوب الجاهلة.

في سنة 1717م تم تأسيس أول وأكبر محفل للماسونية في بريطانيا، ثم تلتها دول أوربة فرنسا وإيطاليا في بناء المحافل.

في عام 1723م كتب جيمس أندرسون (1679 - 1739) دستور الماسونية، وكان أندرسون ماسونيا، بدأ حياته كناشط في كنيسة اسكتلندا، وقام بنجامين فرانكلين بإعادة طبع الدستور في عام 1734م بعد انتخابه زعيما للمنظمة الماسونية في فرع بنسلفانيا.

كانت هذا الدستور عبارة عن عدة صفحات لا تتجاوز الأربعين صفحة يشمل وصف تفصيلي لعجائب الدنيا السبعة ويعتبرها إنجازات لعلم الهندسة، وفي الدستور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعاليم وأمور تنظيمية للحركة، ويحتوي على عدة أغاني يجب أن يغنيها الأعضاء عند عقد الاجتماعات.

في عام 1815م أضاف المحفل الرئيسي للماسونية في بريطانيا للدستور نصا يسمح للعضو باعتناق أي دين يراه مناسبا، وبعد 34 سنة قام الفرع الفرنسي بنفس التعديل.

في عام 1877م بدأ المحفل الماسوني في فرنسا بقبول عضوية الملحدين إلى صفوف الحركة، وأثار هذا بعض الخلاف بين محفلي بريطانيا وفرنسا.

وكان مصدر هذا الخلاف تحليلا مختلفا من قبل الفرعين حول بند دستور الماسونية الذي كتب عام 1723م والذي ينص على: " لا يمكن أن يكون الماسوني ملحدا أحمقا " !!

فقاموا في عام 1877م بإجراء تعديلات جذرية على دستور الماسونية المكتوب عام 1723 م، وتم تغيير بعض مراسيم الانتماء للحركة بحيث لا يتم التطرق إلى دين معين بحد ذاته، وأن كل عضو حر في اعتناق ما يريد.

ولكي يصبح الفرد عضوا في المنظمة الماسونية يجب عليه أن يقدم طلبا لمحفل فرعي في المنطقة التي يسكن فيها، ويتم قبول الفرد أو رفضه في اقتراع بين أعضاء ذلك المحفل، ويشترط للقبول في المنظمة الماسونية أن يكون:

حر الإرادة في زعمهم، ويؤمن بوجود خالق أعظم بغض النظر عن ديانة الشخص (كيف يقبلون ملحدا، وفي نفس الوقت يشترطون الإيمان بوجود خالق أعظم بغض النظر عن ديانة الشخص !!)، ولكن هناك محافلا للمنظمة كالتي في السويد يقبل فيها فقط الأعضاء الذين يؤمنون بالديانة المسيحية

(لاحظ أن أصل الماسونية قام للقضاء على النصرانية !!) وهذا تطور فكري وتنظيمي سيظهر أثره بعد قليل، أن يكون قد بلغ 18 سنة من العمر وفي بعض المقرات 21 سنة من العمر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن يكون سليما من ناحية البدن والعقل والأخلاق ويكون ذا سمعة حسنة.

أن يكون حرا وليس مأمورا..!!

أن يتم تزكيته من قبل شخصين ماسونيين على الأقل.

أن يكون حاملا للقب جامعي على الأقل...!!

يتم قبول العضو الجديد في جو مرعب مخيف وغريب حيث يقاد إلى الرئيس معصوب العينين، ويؤدي يمين حفظ السر، وعندما يفتح عينيه يفاجأ بسيوف مسلولة حول عنقه، وبين يديه نسخة من كتاب العهد القديم ومن حوله غرفة شبه مظلمة فيها جماجم بشرية وأدوات هندسية مصنوعة من خشب، وذلك لِبَثِّ المهابة في نفس العضو الجديد، وإشعاره بجلالة وعظمة الحدث.

وهذه سياستهم منذ قديم الزمان، يحاولون إظهار الغموض والسرية، وربما افتعلوا بعض القصص، أو أحدثوها بالفعل ليعمقوا هذا المعنى في نفوس الأعضاء وغير الأعضاء، حتى لا يخرجوا عن أوامر أسيادهم وزعمائهم، وبذا يُدخلون الرعب في قلب كل من تسول له نفسه عداءهم أو استعداءهم.!!

ويصر أعضاء منظمة الماسونية على أنها ليست عبارة عن دين وليست بديلة للدين. ويشترطون على من يلتحق بها التخلي عن كل رابطة دينية أو وطنية أو عِرقية ويسلم قياده لها وحدها، فلا يفعل إلا ما يُمْلونه عليه، ويكون ولاؤه وانتسابه إليهم فقط !!

وإذا كانت الماسونية ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، فما العلمانية إلا ثمرة من ثمارها العَفِنَة، وما الاشتراكية إلا مولود مُشَوه من سِفَاح أفكارها المتطرفة، وفلسفتها المنحرفة [1]، ولا غَرْو أن تتربى في أحضانها وتحت رعايتها كل السواقط واللواقط،

---

(1) في كتاب " أحجار على رقعة الشطرنج" يؤكد المؤلف أن المرابين العالميين هم الذين يصنعون هذه الأفكار ويحددون أبطالها وزعماءها الذين يقودون الجماهير (كنوع من تغيير الوجود) لاستمرار الدور الفعال في السيطرة على العالم ومجريات الأمور.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويعتنق أبناؤها دينا رسموه، وفُحْشا أَلِفُوه فهم ملاحدة مبنى ومعنى وهدفا وإيمانا، يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات، يعملون على تقويض الأديان والشرائع السماوية تحت مظلة القومية والوطنية والأخوة، ويحاولون السيطرة على الحكومات الشرعية من خلال تجنيد أعضائها من الوزراء والملوك والرؤساء، والانضمام لنواديهم التي أنشؤها مثل الروتاري والليونز، فإن تعذر عليهم عملوا على إسقاطها واستبدالها بمن يعمل معهم وتحت إمرتهم.

وفي سبيل ذلك يُبيحون كل الوسائل للوصول للهدف والغاية، مبدؤهم (فرق تسد) يُقسمون كل الأمم (غير اليهود) إلى أمم متصارعة، عن طريق بث سموم النزاع داخل البلد الواحد وإحياء الفتن وإزكاء العنصرية والطائفية، وهدم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد، مستغلين وسائل الإعلام وأدوات الدعاية، واستعمال الرشوة بالمال وغيره مع الجميع وخاصة مع ذوي المناصب والوجهاء وأصحاب الرأي واتخاذ القرار.

و إذا تململ الشخص أو عارض في شيء من أمورهم دبروا له فضيحة كبرى، وقد يكون مصيره القتل.

يُفَعِلون مبدأ التشكيك عن طريق بث الأخبار المختلقة، والأباطيل والدسائس الكاذبة حتى تصبح كأنها حقائق، للتلاعب بعقول الناس وطمس الحقائق أمامهم.

ولهم مع الشباب جولات وصولات، فبعد نشر الأفكار المنحرفة، وتشويه الأخلاق والفضائل يقومون بدعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة وتوفير أسبابها لهم وإباحة الاتصال بالمحارم وتوهين العلاقات الزوجية وتحطيم الرباط الأسري.

كما يدعون إلى قطع النسل خاصة لدى المسلمين عن طريق ما يسمى تحديد النسل، ونشر أكاذيب يسمونها خطورة الزيادة السكانية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن الماسونية في حقيقتها عبارة عن منظمة سياسية اقتصادية، هدفها الرئيس: هو الهيمنة على العالم، بالسيطرة على رجالات ومقرات صنع القرار، والتحكم في وسائل الإعلام والاقتصاد العالمي، والتغلغل في كل نواحي الحياة وخصوصا الحيوية منها.

وكل التيارات والأفكار المتطرفة التي عرفها العالم مؤخرا مثل الشيوعية والاشتراكية، والعلمانية، والليبرالية، والبهائية، والثورات والحركات الثورية الفوضوية المعروفة بالأناركية أو اللاسلطوية ما هي إلا وجوه قبيحة أفرزتها المحافل الماسونية العالمية، وكلها تهدف إلى طمس الهُويات الدينية والشخصية، والانصهار في بوتقة واحدة يسمونها العولمة.

ويفرضون ذلك على الأمم والشعوب من خلال الاتفاقات والمعاهدات الدولية، هذا وإلا.. فالحظر الدولي، والتضييق السياسي لتجويع الشعب وإدخاله في دائرة الضعف والتدهور والانحطاط.

وحركة مصطفي كمال أتاتورك وجمال الدين الأسد بادي الإيراني (المعروف بجمال الدين الأفغاني) ما هي إلا حركات وتيارات تفرعت وانبثقت من الماسونية العالمية، حَرَّكتها أيادي الكبار، وأنزلت على هذه الشخصيات صفات العبقرية والألمعية، وما تشتهيه الأنفس من التبجيل والتعظيم فانخدع بهم خلق كثير.

وفي الوطن العربي وحده استطاعوا خداع ألفي رجل من كبار الساسة والمفكرين وأسسوا بهم المحفل الرئيسي المسمى بمحفل الشرق الأوسط [1]

(1) مصطلح الشرق الأوسط أطلقه الماسون على الوطن العربي كنوع من أنواع التغريب والبعد عن أي شيء ينسب للعرب والوحدة العربية، وأشاعوه في أبحاثهم وقنواتهم حتى استساغه العرب وكرروه وتركوا الكلمة الأصلية وهي الوطن العربي أو الشرق الإسلامي فلنستمسك بالأصل الذي هو خير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفيه تم إخضاع هؤلاء الساسة لخدمة الماسونية، وأعلنوا شعارات براقة تخفي حقيقتهم فخدعوا كثيرا من المسلمين، ثم انتشروا كالسرطان.

وجُل أعضائها من الشخصيات التي يجعلونها مرموقة في العالم، يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ويقيمون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام.

إن أقوى دولة علمانية وهي الولايات المتحدة مبنية أساسا على المفاهيم الماسونية إذ إن معظم من وقعوا على دستور الولايات المتحدة وكثير من رؤساء الولايات المتحدة ماسونيين على رأسهم جورج واشنطن وبنجامين فرانكلين.

في عام 1979م أصدرت جامعة الدول العربية القرار رقم 2309 والتي نصت فيه على اعتبار الحركة الماسونية حركة صهيونية لأنها تعمل بإيحاء منها لتدعيم أباطيل الصهيونية وأهدافها كما أنها تساعد على تدفق الأموال على إسرئيل من أعضائها الأمر الذي يدعم اقتصادها ومجهودها الحربي ضد الدول العربية حسب بيان الجامعة.

و في نوفمبر عام 1983م صرح زعيم الفاتيكان يوحنا بولس الثاني نصا: " لا يمكن أن تكون كاثوليكيا وماسونيا في نفس الوقت."

وأصدر الأزهر تصريحه في 28 نوفمبر عام 1984م حيث أصدر فتوى كان نصها: "إن المسلم لا يمكن أن يكون ماسونيا لأن ارتباطه بالماسونية انسلاخ تدريجي عن شعائر دينه ينتهي بصاحبه إلى الارتداد التام عن دين الله."

وخلاصة العقيدة الماسونية الحالية: يؤمنون بعقيدة تزدوج فيها الصهيونية والبروتستانتية، وأن هذا الإتحاد بينهما سيكون السبب في بناء هيكل مزعوم على أنقاض المسجد الأقصى، وهذا يفسر لنا الاندماج التام والتوءمة بين الولايات المتحدة الأمريكية، وابنتها اللقيطة الصهيونية المحتلة للمسجد الأقصى. كما يفسر التدخل الصهيوني وكثيرا التحكم في صنع القرار الأمريكي، بل وهم الركيزة الأساسية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في اختيار الرئيس الأمريكي نفسه، فهو يعمل من خلال الأجندة الماسونية العالمية، لا يستطيع مخالفتها قيد أنملة.

هكذا اجتمعت عوامل الإلحاد الغربية، واتجهت لغزو البلاد الإسلامية، ولكن يبقى السؤال الأكثر أهمية، ما تكون عقيدة الملحد خاصة العربي بعدما يترك دينه وإسلامه؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث: عقائد الملحدين

الملحدون لا يعلمون لأنفسهم مذهبا ولا معتقدا (وهذه حقيقة يعترفون بها ولا ينكرونها)، فكل أفكارهم قائمة على معاداة الدين (أي دين) والتشكيك في أساسياته ومسلماته التي تتوافق مع الفطرة. وهم لا يفترون من إيهام الناس بكلام وأوهام يطلقون عليها "النظريات" ليخدعوهم ويُلبسوا عليهم دينهم

يقول موريس بلوندل (فيلسوف فرنسي عاش بين 1860 – 1949م): " ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة " [1]

فيمكن لطفل صغير أن يجعل الملحد يشك في عقيدته – إن كانت له عقيدة – بأن يقول له: ما يضرك أن تتبع دين الإسلام، فإن لم تكن هناك آخرة لم تخسر شيئا، وإن كانت ثمة آخرة نجوتَ بإتباعك للدين.

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تُبعث الأموات قلت: إليكما

إن صح قولكما فلستُ بخاسرٍ أو صح قولي فالخسارة عليكما

وبالطبع فإن موريس بلوندل يقصد بالملحدين المعنى المعروف من إنكار وجود الله تعالى، وهو في هذا مصيب، فكل إنسان بداخله يقين بوجود الله تعالى ولو أظهر خلاف ذلك، ولقد شاهدتُ شخصيا لقاءً مصورا مع أحد مدعي الإلحاد قال في بدايته: " السلام عليكم " !!

وآخر ذهب يخبر أحدهم بإلحاده فأنكر عليه أن يكون ملحدا فقال له: " والله العظيم أنا ملحد " !!

([1]) هذه المقولة اشتهرت عن بلوندل لكني لم أقف على صحة نسبتها إليه، وذكرتها لصحتها وموافقتها للواقع وهذا ما يعنينا في هذا المقام .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهذا الإلحاد هو خروج عن الاعتقاد إلى لا شيء، أو الخروج عن الهُوية، أو مسخ وتشويه الفكر وترك الشك محل اليقين دون الاهتداء لشيء. وإن سموا ذلك لا دينية أو لا ربوبية أو مانوية أو لا أدرية أو عبدة الشيطان أو أي شيء آخر.

أولا: اللادينية

اللادينية: هي عدم إيمان الإنسان بأي دين، ورفض جميع الأديان على أنها كما يعتقد اللادينيون صنع ونتاج فكري بشري، واللادينية هي عنوان عريض يندرج تحته كثير من التوجهات والقناعات الفكرية والفلسفية والعلمية، المرتبطة بالأسئلة الجوهرية عن الكون ومغزاه وعن السياسة والأخلاق، ولكن تبقى اللادينية مفهوما بسيطا يقتضي الاعتقاد أن أي الدين هو بشري الصنع.

ثانيا: اللاربوبية

تم استخدام كلمة اللاربوبية كترجمة عربية لكلمة (atheism) في الحملة العلنية لظهور اللاربوبيين (الملحدين) والتي دعا إليها ريتشارد دوكنز إلى جانب كلمة (إلحاد) بين قوسين، كمحاولة لإشهار كلمة ثانية لا تحمل معنى سلبيا من حيث اللغة [1] وتعطي المعنى المطلوب المتمثل بعدم الاعتقاد بإله أو آلهة، لكن بالرغم من ذلك فكلمة "إلحاد" هي المستخدمة بصورة شائعة حتى من قبل الملحدين العرب.

ثالثا: المانوية

هي عقيدة من عقائد الفُرْس القديمة، تنسب إلى ماني بن فتك الذي ولد سنة 216 ميلادية في بابل، وكان في الأصل مجوسيا عارفا ببعض الشرائع السماوية ومذاهب ومعتقدات عصره، وكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى، ثم حاول الجمع بين بعض الشرائع السماوية والمعتقدات الوضعية وإقامة صلة بين

([1]) هذا شبيه بما يفعله بعض العلمانيين هذه الأيام باستبدال العلمانية بالليبرالية وتفسيرها على أنها الحرية الشخصية للتدليس على الناس وإقناعهم بهذا الفكر الباطل المعادي للدين .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسيحية والبوذية والزرادشتية، ولذلك فهو يعتبر نفسه ضمن الأنبياء وكلاً من بوذا وزرادشت ويسوع أسلافا له.

و أتباع المانوية هم معظم من أُطْلِق عليهم الزنادقة في صدر الإسلام، وإن كان لفظ الزندقة في الإسلام شمل كل فكر فيه خروج عن توحيد الله تعالى، ومن أمثلتهم: أحمد بن يحيى بن إسحق الراوندي المعروف بابن الراوندي، والشاعر العباسي المعروف أبي العلاء المعري صاحب رسالة الغفران، والشاعر العباسي الحسن بن هانئ المعروف بأبي نُوَاس...وغيرهم، والله أعلم بخواتيمهم.

رابعا: اللاأدريه

هم الذين لا يتخذون موقفا معينا من وجود الله تعالى، حيث يعتقدون أنها مسألة علمية لا يمكن إثباتها، ولا تحمل أهمية جوهرية بالنسبة للإنسان، فهم لا يؤمنون ولا يعتقدون بوجود إله لهذا الكون.

خامسا: عبدة الشيطان

هذه الحركة الشيطانية المعاصرة ظهرت بعد سنة 1960، معتمدة على بعض الأعمال الأدبية التي تجسد الشيطان بشخصية البطل الذي لا يُهزم، مثل كتابات جورج برنارد شو، ومارك توين اللذان شغلهما فكرة الرجل الخارق (سوبر مان) فمزجا بين صفات بشرية وأخرى خارقة لا يستطيع البشر فعلها، وهما في حقيقة الأمر لم يبدعا شيئا جديدا فهذا فكر متأصل وعقيدة راسخة في أعماق الفكر الغربي النصراني، وهو اعتبار بعض الأشخاص أبناء الآلهة ولهم قدرات خارقة تفوق قدرات البشر، وتحارب قوى الشر وتساعد الضعفاء، ولقد أدخلوا هذه الأفكار في كثير من أعمالهم الروائية والتصويرية (السينمائية) ولعل أشهرها روايات (هرقليز، وهاري بوتر).

ثم تبنى الشيطانيون هذه الفكرة وجعلوها من سمات شيطانهم مستغلين إلحاد هذين الكاتبين ليروجوا لأفكارهم الشيطانية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعقيدتهم التي يجتمعون حولها أنهم: لا يؤمنون بالله أو إبليس (الشيطان) أو حياة بعد الموت، بل يجب أن يستمتع الناس بحياتهم الحالية وأن يحيوها كاملة أو كما يحلو لهم.

وإمعانا في الجدية والتنظير قسموا أنفسهم إلى اتجاهين رئيسيين هما: الشيطانية الإيمانية !!!، والشيطانية الإلحادية، الشيطانية الإيمانية تبجل الشيطان كإله خارق للطبيعة، على عكس الشيطانية الإلحادية التي ينظر أصحابها إلى أنفسهم على أنهم ملحدون، ولا يؤمنون بالشيطان المادي بل يؤمنون بالشيطان الرمزي الذي يرمز إلى بعض الخصال البشرية (الأهواء والغرائز)

ولقد تأسست في سان فرانسيسكو الأمريكية كنيسة عرفت باسم كنيسة الشيطان، وذلك في 30 أبريل سنة 1966، بواسطة الكاهن اليهودي الساحر أنطون لافي، الذي كان يعتبر الكاهن الأعلى لهم حتى هلاكه في سنة 1997. وهي تعد أهم وأكبر مرجعية مؤسسية لهم، كما أنه ألَّف لهم كتابا يعتبرونه مرجعهم الأهم وكتابهم المقدس وهو كتاب: الشيطان.

يدعوا عبدة الشيطان هؤلاء إلى: تمجيد القوة، والاستمتاع بكل ما حرَّمته الأديان والاستعانة بالسحر والسحرة. ويرون أن الشيطان يكافئ أتباعه بالسرور والسعادة وامتلاك الدنيا بكل مسراتها، وبعد الموت يبعثون إلى الأرض ليحكموها ويتمتعوا بملذاتها.

واجتماعاتهم كلها لا تتم إلا بالموسيقى الصاخبة التي تسمى الميتال، والرقص الهستيري المختلط، يصحب ذلك تعاطي المخدرات، وشرب أكواب الدماء، والتعري واستباحة الأعراض علنا، ويشترطون على أي فتاه تنضم لهم أن تفقد عذريتها، وأن تُزال كل وسائل الاحترام الموجودة بينها وبين شباب المجموعة التي تنضم إليها، وهم يستترون وراء المصطلحات الغامضة فيطلقون على بعضهم: إيمو أو ميتال نسبة إلى موسيقاهم الصاخبة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والخلاصة أن عبدة الشيطان، لا يؤمنون بألوهية الشيطان، بل يؤمنون بفكر الشيطان من استحلال المعصية والتشبع منها.

ورغم ذلك تبقى مسألة عالقة في غاية الأهمية لم تحسم بعد، وهي التطبيق العملي على أرض الواقع والحياة العملية لفكرة الإلحاد، فالأديان تشجع الإنسان على إتباعها لما يجده فيها من التزام أخلاقي مريح، بل إنها أيضا تقدم له حلولا عقلية مريحة أيضا للقضايا الفلسفية الكبرى حول الوجود والغاية من الحياة، وقد يعتقد الملحد أنه يلتقي مع المؤمن بدين معين في فكرة احترام وجهة نظر المقابل وعدم استصغار أو تحقير أية فكرة، إذا كانت الفكرة مبعث طمأنينة لشخص ما وتجعله شخصا بناءً في المجتمع. وبعض الملحدين يزعمون أن لديهم فكر حضاري قائم على مبادئ حقوق الإنسان، بالرغم من أن بعضهم أيضا يبدي سلوكا متطرفا تجاه المؤمنين بأي دين وخصوصا الإسلام، لكن ما هي عقيدة الملحد؟ وبماذا يؤمن؟ وماذا يدعوه إلى الإلحاد؟

الملحد البريطاني ريتشارد دوكيز يعتقد في كتابه: "وهم الإله" أن احتمال وجود الله هو احتمال ضئيل جدًا وأن الإيمان بوجود إله هو مجرد وهم، وهذه هي الفكرة التي بنى عليها كتابه كما هو واضح من عنوانه، ويعتبر أن الإنسان ليس بحاجة للدين كي يكون صالحًا وعلى خُلق، ويتساءل: "هل كنتَ لتقتل أو تغتصب أو تسرق لو علمت أن الله غير موجود؟ "

ويتفق دوكنز في كتابه مع مقولة روبرت بيرسيغ أنه "عندما يعاني شخص من وهم يسمى ذلك جنوناً، وعندما يعاني مجموعة أشخاص من وهم يسمى ذلك دينا ".!! فالدين عنده وَهْمٌ اجتمع عليه الناس، ولا داعي لأن نعتقد شيئا ما دمنا نستمتع بالواقع، وجمال الطبيعة بعيدا عن هذا الاعتقاد !! وهو يُدَنْدِن حول هذا المعني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثاني: أركان الإلحاد الأساسية

يُعلل بعض الملحدين رؤاهم بأسباب يعتقدونها فلسفية أو عقلية نابعة من التحليل المنطقي والاستنتاج العلمي، وتعد هذه التعليلات الأركان الأساسية للفكر الإلحادي ؛ حيث يشير كثير منهم إلى:

* عدم وجود أي أدلة أو براهين موضوعية على وجود إله، ويرون أن وجود إله متصف بصفات الكمال منذ الأزل هو أكثر صعوبة وأقل احتمالا من نشوء الكون والحياة لأنهما لا يتصفان بصفات الكمال، بمعنى أن افتراض وجود إله حسب رأي الملحدين يستبدل معضلة وجود الكون بمعضلة أكبر وهي كيفية وجود الإله الكامل منذ الأزل، وبالتالي لا بد أن التعقيد قد نشأ من حالة بسيطة، كتفسير تنوع وتعقيد الكائنات الحية كما تشرحه نظرية التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي.

* فكرة الشر أو الشيطان في النصوص الدينية: حيث يرى بعض الملحدين أن الجمع بين صفتي القدرة المطلقة والعلم المطلق يتعارض مع صفة العدل المطلق للإله وذلك لوجود الشر في العالم.

* عدم وجود دليل علمي على فرضية الخلق من العدم، حيث تقول إحدى النظريات حسب قانون بقاء المادة: إن المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم، بل يمكن فقط أن تتحول إلى طاقة بعلاقة تعبر عنها معادلة تكافؤ المادة والطاقة، والطاقة بدورها محفوظة بقانون بقاء الطاقة، بمعنى أن المادة هي صورة من صور الطاقة، وهما لا يفنيان ولا يستحدثان من العدم.

هذه هي الأركان الأساسية للإلحاد المعاصر، وتتفرع عن هذه الأركان باقي الأفكار والتصورات والفلسفات، فالملحد المعاصر إما أنه ينكر وجود إله ؛ أو أنه لا يؤمن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بوجود إله. وفي المبحث القادم سنعرض لسبل الوقاية والعلاج من هذا المرض العضال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع: أساسيات مواجهة الإلحاد

المطلب الأول: الوقاية من الإلحاد

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل ترى فيها جدعاء "[1].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: "ومثل الفطرة مع الحق: مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة من تهوّد وتنصّر وتمجّس: مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضًا كل ذي حِسٍّ سليم يحب الحلو، إلاّ أنْ يعرض في الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مُرًّا، ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكون حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإنّ الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئًا، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق: الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغيّر لما كان إلاّ مسلمًا. وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع: هي فطرة الله التي فطر الناس عليها "[2]

والمقصود أن الإلحاد شيء طارئ على فطرة الإنسان كالمرض، ومن ثم يمكن التحصن منها قبل الإصابة به، وكل أنواع الإلحاد يمكن التحصن منها ابتداءً بتربية النشء تربية إسلامية قِوَامها وعمودها الوسطية والاعتدال

والتربية في الإسلام هي بناء الإنسان في جميع مراحل حياته منذ لحظة ولادته حتى وفاته، إيمانًا وتوحيدا، عقيدة وعقلا وعلما وفكرًا، ليؤهله هذا كله إلى القيام بأعباء التكاليف الربانية، من عبادة الله تعالى كما أمر، وعمارة الأرض كما أراد.

---

(1) أخرجه: البخاري في كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه برقم[1358]، ومسلم في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة رقم[2658].

(2) ينظر:"مجموع الفتاوى" (247/4).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأصل ذلك تربية النشء عقيدة وعبادة بعيدًا عن أفكار التطرف والانحراف. وحتى تتحقق هذه الغاية النبيلة، فلابد من تعهد النشء منذ الصغر في مراحل حياته المختلفة وأشكالها المتعددة، من خلال تكاتف الأسرة والمجتمع

وتَقُوم الأسرة بالدور الأهم في تربية النشء باعتبارها المؤسسة التربوية الأولى في حياة الإنسان. والتي يأخذ المولود منها أهم مقوماته السلوكية والأخلاقية، وعليها يقع العبء الأكبر في تكوين شخصيته المستقبلية، ولاشك أن صلاح هذا الأساس أو فساده ينعكس أثره على الناشئة.

لذا تعتبر الأسرة المسلمة أعظم مدرسة إيمانية وأقوى حصن تربوي منيع، يتم فيها إعداد الشباب –ذكورًا وإناثًا– على التحلي بالاستقامة والتَّقوى، والسلامة من الزيغ والانحراف، وانطلاقًا من مسئولية الزوجين المشتركة في تربية أولادهما على تقوى الله تعالى ووقايتهم من الضلال الفكري والانحراف السلوكي والفساد الأخلاقي، جاءت وصية النبي صلى الله عليه وسلم للوالدين بواجب تحمل المسؤولية الكاملة والرعاية الشاملة للأولاد، فقال صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الرجل في بيته راعٍ ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[1]

فالأسرة هي صاحبة المسؤولية الكبرى في غرس العقيدة الصافية والفكر القويم والثقافة النافعة في نفوس النشء، وهي التي تعود الأولاد على أداء العبادات منذ الصغر، وتعمق فيهم الشعور بخشية الله تعالى ومراقبته

([1]) أخرجه: مسلم في كتاب الإمارة، برقم(4828)، وأبو داود في كتاب الخراج، برقم(2930)، والترمذي في كتاب الجهاد، برقم(1806).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وللمجتمع أيضا دور مهم وفاعل في تربية الناشئة وتوجيه الأفراد من خلال قنواته المختلفة ووسائله المتعددة، والتي من أهمها: المسجد، والمؤسسات التعليمية، ووسائل الإعلام من خلال بث العلم النافع والترغيب فيه، والرد على الأفكار المنحرفة والشبهات العارضة.

فالعلم وحده هو الذي يبني شخصية الإنسان بناءً سويًا مستقيما، والعلم وحده هو الذي يحارب الأفكار الضالة والمنحرفة، خاصة في عصر القنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، فلابد من تحصين الشباب فكريا وعلميا ليصح فهمهم وإدراكهم للقضايا المختلفة

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم، الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم، الذي أُمِرْنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة. وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد"[1]

فرب صغير قوم علموه سما وحمى المسومة العرابا
وكان لقومه نفعًا وفخرا ولو تركوه كان أذى وعابا
فعلِّم ما استطعت لعل جيلا سيأتي يحدث العجب العجابا

---

(1) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (87/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثاني: أساسيات الرد على الملحدين [1]

بعد بيان أنواع الإلحاد وتفنيدها، ومعرفة ظروف نشأتها وتطورها وأمثلتها وعقائد أصحابها، أصبح من السهل اليسير دحض حججها العليلة، وشكوكها الحَجِلة الرذيلة، وهذا هو الهدف الأسمى من شرح الجذور ومعرفة البواطن والأصول، ومناقشة الملحد أمر سهل على من فهم الجذور، وسبر الأغوار، ويمكن وضع خُطة عامة للحوار مع الملحدين في رءوس موضوعات؛ ثم دعم ذلك بنموذج من مناظرة مع أحدهم والرد على شبهاتهم التي يروجون لها:

أولا: تصنيف الملحد من خلال معرفة شخصيته وسبب إلحاده، وستفاجأ أن معظم الملحدين المعاصرين ألحدوا تقليدا وجهلا، تقليدا لمن يعتقدونهم علماء ومفكرين وثوار، أمثال: ماركس وكاسترو وجيفارا وتشافيز وغيرهم، وجهلا بحقيقة دينهم وتاريخهم. وهذا الصنف يتراجع بالحقائق ويُفَاجأ عندما تُكْشف له، ولكن عرض الحقائق يحتاج لحكمة وبصيرة، وعدم الطعن ابتداءً فيمن يعتقدوهم ويُجِلوهم ويُكْبِروهم، وبيان أن العلم ليس حِكْرا لأمة أو جماعة مع ذكر أمثلة من علمائنا (في العلوم الدنيوية) وأن الحضارة الأوربية الحديثة قامت من أساسها على علوم المسلمين والعرب في كل مجالاتها العلمية: في الطب والفيزياء والكيمياء والفلك والحساب والأرقام...إلخ، ثم نؤيد هذا كله بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الداعية للعلم والتفكر في خلق السماوات والأرض، ساعتها سيتحول انبهاره بحضارة الغرب إلى حب استطلاع ومعرفة عظمة الدين، وهنا نذكره ببعض الآيات التي تناولت أوجه

---

(1) من الكتب المفيدة في هذا الموضوع، درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية، وشفاء العليل، ومفتاح دار السعادة لابن القيم، وميليشيا الإلحاد لعبد الله بن صالح العجيري، والفيزياء ووجود الخالق لجعفر شيخ إدريس، و آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين لأبي الفداء ابن مسعود، ومنهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية لسعود العريفي، وقضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام لمحمد السيد الجليند.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإعجاز العلمي مثل قول الله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس 37-40)

ثانيا: إذا كان سبب إلحاده العقل، ولا يؤمن إلا بما يصدقه عقله أو يثبته العلم، فعلاجه التشكيك في بعض قدرات العقل، والتشكيك في بعض نتائج العلم، وبيان أن الصُّدْفة من أهم طرائق العلم، وكثير من النظريات تم معرفتها عن طريق الصدفة (وهذه وحدها تهدم اعتماد الملحد على العلم) ثم نبين له مكانة العلم في الإسلام قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة 11).

فأهل العلم من المؤمنين أعلى درجات من المؤمنين فقط وليسوا علماء.

والعلم هو الشيء الوحيد الذي أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يطلب منه الزيادة فقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير"[1].

رابعا: إذا كان سبب إلحاده إلحاد إشراك، فالقرآن الكريم مليء بمناقشاتهم على ألسنة الرسل والأنبياء، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم مليئة بمناظراته ومحاوراته كفار قريش، بما يهدم أي فكرة لعبادة أحد من دون الله تعالى.

خامسا: إذا كان سبب إلحاده الكبر والغرور، فهذا يحتاج لعلاج الكبر والغرور، وعلاج الكبر يكون ببيان صِغَر الإنسان بالنسبة للكون، وأنه ليس شيئا في هذا العالم، فما يكون حجمه مع حجم السماء والأرض؟، وما هي قوته بالنسبة للجبال

([1]) أخرجه: الترمذي، رقم(2825) وقال: حسن صحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته رقم(1834)، الناشر المكتب الإسلامي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرواسي؟، وماذا كان أوله؟ ثم ماذا تكون نهايته؟، وماذا يكون في حياته؟ تُقلقه نملة !!، وتقض مضجعه ناموسة، واضرب له مثلا بنمروذ وفرعون وقرون وقوم عاد، أين هم، وماذا بقي منهم؟

ثم حدثه عن عظمة الكون والأجرام السماوية، وأن الحياة لا تقف عند شخص حتى لو كان نبيا، فأين هم الأنبياء الآن؟، أين قوم عاد وثمود؟ أين الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتا؟...إلخ

سادسا: لا تأخذك الحمية وتقع في (فخ) الدفاع عن الدين مع الملحد، وبادره بالأسئلة المتوالية عن عقيدته؟ وأصول مذهبه؟ واجعله يشرح لك ذلك باستفاضة..!! ستجد أنه لن يتكلم أكثر من دقائق معدودة إن كان خبيرا ضليعا متضلعا، ثم يشترك مع باقي الملحدين في الهجوم على الدين والتشكيك فيه، فهم لا يجيدون البناء ولا يحسنون إلا الهدم والتشكيك. وفكرهم بناء لا أصول له ولا قواعد ولا أساس، يقولون في الإسلام ما يقولون ولا يستطيعون شرح بدائلهم التي تجعلنا نؤمن بما يؤمنون. ولو أرادوا بسط مبادئهم لوجدتها قائمة على رفض ما في الإسلام أو أي دين من أصول ومسلمات.

وحتى يريحون أنفسهم أصبحوا يقولون مؤخرا، لا حاجة للأديان ولنخرج منها إلي لا شيء..!! إلي لا دين، ولا عقيدة، ولا إيمان !!

سابعا: ليس لأحد أن يتصدى لملحد أو يناقشه إلا أن يكون على علم ومعرفة بالأدلة ومواضع الاستشهاد من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم الشرعي والدنيوي، فإن لم يكن كذلك فليدلّه على عالم أو يدل عالم عليه، لأنه ربما فُتن بكلام الملحد العقلي فتأتي الطَّوَامّ من قَبْل الفِطَام.

ثامنا: الرد على الملحدين يقتضي المعرفة التامة بأركان الإلحاد، ثم بالتصورات الناتجة عن هذه الأركان التي تتمثل في عقائد الملحدين، ومن ثم لا يصلح في مناقشة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الملحدين الاستشهاد بآيات القرآن لأنه أصلا لا يعترف بقدسيته خاصة إذا كان من الملحدين العقليين، فهذا يحتاج إلى أدلة مادية محسوسة.

وقد يحتاج هذا النوع من الملحدين إلى المنهج السوفسطائي في الجدل ؛ الذي يبدأ بالتشكيك في المسلمات لديه بأدلة عقلية مجردة، ثم وضع أسس أخرى غير التي يؤمن بها وإقناعه بها والبناء عليها..وهكذا

تاسعا: إذا وجدت الملحد صادقا في طلب المعرفة والوصول إلى حقيقة، فليس أبلغ من تكرار آيات القرآن الكريم على مسامعه؛ خاصة تلك الآيات التي تتكلم عن خلق الإنسان وخلق الشمس والقمر والليل والنهار ثم الدندنة حول معانيها ومراميها. فإنها نزلت لهذا الغرض في الرد على مشركي مكة.

عاشرا: ليكن شعارك في مناظرة الملحدين قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا" (متفق عليه)، فلا تغتر بمعلوماتك أو مهارتك بل اطلب التوفيق من الله تعالى، وليكن هدفك إظهار الحق ودحر الباطل دون الإساءة للآخرين.

** من المناظرات المعروفة في هذا الباب **مناظرة القاسم بن إبرهيم الرسي** [1] **مع أحدهم**.

فقد كان بمصر رجل من الملحدين كان يحضر مجالس فقهائها، ومتكلميها فيسألهم عن مسائل الملحدين، وكان بعضهم يجيب عنها جوابا ركيكا وبعضهم يزجره ويشتمه فبلغ خبره القاسم بن إبرهيم الرسي وكان متخفيا في بعض البيوت فبعث صاحب منزله ليحضره عنده، فأحضره فلما دخل عليه قال له القاسم: إنه بلغني أنك

(1) هو: القاسم بن إبرهيم بن إسمعيل العلوي المعروف بالرسي ولد سنة 169 هـ عاش في عهد الدولة العباسية وعاصر الخلفاء هرون الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم وتوفي سنة 246 هـ وهذه المناظرة من كتابه: الدليل الكبير في الرد على الزنادقة والملحدين تحقيق إمام حنفي عبد الله، نشر دار الآفاق العربية القاهرة الطبعة الأولى سنة 1420هـ، الموافق 2000م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعرضت لنا وسألت أهل نحلتنا عن مسائلك تريد أن تصيد أغمارهم بحبائلك حين رأيت ضعف علمائهم عن القيام بحجج الله والذب عن دينه. ونطقت على لسان شيطان رجيم لعنه الله وقال: ﴿ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (النساء 118)

فقال الملحد: أما إذ عِبْتَ أولئك وعيرتهم بالجهل فإني سائلك وممتحنك فإن أنت أجبت وإلا فأنت إذا مثلهم

قال القاسم: قل ما بدا لك وأحسن الاستماع، وعليك بالنَّصَفَة، وإياك والظلم ومكابرة العيان ودفع الضرورات والمعقولات، أُجِبك عنه وبالله أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي وكفي ونعم الوكيل.

قال الملحد: خبرني ما الدلالة على أنه الصانع؟

قال القاسم: الدلالة على ذلك قوله في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾

(الحج 7/5)، ووجه الدلالة في هذه الآية فهو: كون الإنسان ترابا ثم نطفة ثم علقة لا تخلو هذه الأحوال من خلتين:

إما أن تكون محدثة أو قديمة، فإن كانت محدثة فهي من أدل الدلالة على وحدانيته ووجوديته، فإن كان كونها وهو معدوم بعلل منها:

- أن المحدث متعلق في العقل المحدثة، كما كانت الكتابة متعلقة في العقل بكاتبها، والنظم بناظمه، إذ لا يجوز كتابة لا كاتب لها، ووجود أثر لا مؤثر له في الحس والعقل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ومنها أن المحدث هو ما لم يكن فكُوِّن فهو في حال كونه لا يخلو من أحد أمرين:

- إما أن يكون كَوَّن نفسه وهو معدوم، أو غيره كونه، فإن كان هو الذي كون نفسه لم يخل أيضا من أحد أمرين:

** إما أن يكون كَوَّنَ نَفْسَه وهو معدوم أو كَوَّنها وهو موجود فإن كان كونها وهو معدوم، أُوجِد، فَمُحَال أن يكون المعدوم أَوْجد نفسه وهو معدوم، وإن كان كونها وهو موجود فمحال أن يكون الموجود أوجد نفسه وهو موجود !! إذ وجود نفسه قد أغناه عن أن يُكَوِّن بها نفسه ثانيا.

فإذا بطل هذا ثبت أن الذي كونه غيره، وأنه قديم ليس بمحدث إذ لو كان محدثا كان حكمه حكم المحدث.

وإن كانت الأحوال قديمة فذلك يستحيل لأنَّا نراها تحدث شيئا بعد شيء في حيز واحد في نفس واحد، ولو كانت كلها مع اختلافها في أنفسها وأوقاتها قديمة لكانت الترابية نطفة مضغة ثم علقة عظما لحما إنسانا في حالة واحدة !!

إذا القديم هو الذي يكون ولم يزل وجوده وإذا لم يزل وجود هذه الأحوال كان على ما قلت من كونه ترابا مضغة ثم علقة عظما لحما إنسانا في حالة واحدة، إذا الأحوال لم تسبق بعضها بعضا ولأنها قديمة ولأن كل واحد منها في باب القدم سواء.

وإذا استحال وجود هذه الأحوال معا في حين واحد في حالة واحدة وثبت أن التراب سابق للنطفة والنطفة سابقة للحال التي معها صح الحدوث وانتفي عنها العدم وإذا صح الحدث فقد قلنا بدءً: إن المحدث متعلق في العقل بمحدثه.

قال الملحد: أنكرت أن تكون الأحوال محدثة، وأن المحيز التي هي الجسم قديمة؟

قال القاسم: أنكرتُ ذلك من حيث لم أره منفكا من هذه الأحوال ولا جاز أن تنفك كان حكم العين كحكم الأحوال في الحدث.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الملحد: ولم؟

قال القاسم: من قِبَل أن المحيز إذا كانت قديمة وكانت الأحوال محدثة فهي لم تزل تحدث فيها الأحوال وإذا قلت: لم تزل تحدث فيها ناقضت، لأن قولك: لم تزل خلاف قولك: تحدث.

والكلام إذا اجتمع فيه إثبات شيء ونفيه في حال واحد استحال، وذلك أنها إذا لم تزل تحدث فيها فقد أثبتها قديما لم يزل يحدث فيها، وإذا كان هذا هكذا فهي لم تسبق الحدث فقد صار الحدث قديما لأنه صفته الجسم الذي هو قديم.

وإذا كانت صفته، استحال أن يكون صفته القديم الذي لا يخلو منها ولا يزول عنها محدثا وهذا محال بيِّن الإحالة، لأن فيه تثبيت المحدث قديما والقديم محدثا.. !!

قال الملحد: فما أنكرت أن تكون الأشياء هي التي فعلت الأحوال؟

قال القاسم: بمثل ما أنكرت زيادتك الأولى، لأنه لا فرق بين أن تكون هي الفاعلة وهي لم تسبق فعله، أو تكون قديمة لم تسبق صفاتها.

لأن الفاعل سابق لفعله متقدم له، فكذلك القديم الذي لم يزل سابق للذي لم يكن، لأن في إثبات الفعل له، إثبات بحدث فعله وهذا لم يسبق فعله فقد جمعت بينهما في حالة واحدة، وهذا محال بَيِّن الإحالة.

قال الملحد: فإني لم أَرَ كونه شيئا إلا من شيء، فما أنكرت أن تكون الأشياء لم تزل يتكون بعضها من بعض؟ وما أنكرت أن يكون الشيء الذي هو الأصل قديما؟

قال القاسم: أنكرت أشد الإنكار، وذلك أن الشيء الذي هو الأصل لا يخلو من أن يكون فيه من الأحوال والهيئات والصفات مثلها في فرعه أَوْ ليس كذلك، فإن كان فيه مثلها في فرعه فحكمه في الحدوث كحكمه، وقد تقدم الكلام في هذا المعنى ما فيه كفاية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على أنَّا نجد الصور والألوان والهيئات بعد ألا نجدها ووجود الشيء بعد عدمه هو أدل الدلالة على محدثه

فحدثني عن الصورة من أصل حدثت؟ !!

فإن قلت: إنها قديمة، أحلت وذلك أنها لا تخلو من أمور

أحدها: أن الصورة لو كانت قديمة لكانت في هذا التصور الذي ظهرت الصورة فيه أو في عنصره الذي يسمونه هيولا

فإن كانت في هذا التصور الذي ظهرت الصورة فيه فإنه قد يوجد على خلاف هذه الصورة.

وإن كانت في الذي تسمونه هيولا فلابد إذا ظهرت في هذا المصور أن تكون انتقلت عنه إلى هذا

فإن قلت: انتقلت: أحلتَ، لأن الأعراض لا يجوز عنها الانتقال فظهرت عند اللبث

* وفيه خُلَّة أخرى وهي أنها لو كانت في الأصل ثم انتقلت عنه إلى فرعها فقد جعلت لانتقالها غاية ونهاية، فقد صح حدث الذي انتقلت عنه هذه الأحوال

فإن قلت: لم تزل تنتقل !!.. كان الكلام عليك في هذا اللغو، كالكلام الذي قدمناه آنفا (لم تزل تحدث)

* وفيه معنى آخر وهو أنك إذا جعلت الأشياء في وهمك شيئين، إذا أفردت كل واحد من صاحبه نقص وانتهى إلى حد ما.

أفليس إذا انتهى في حال وزاد فكثر، أو نقص فقل، فالنقص والزيادة يحدثان بالنهاية عنه وإذا ثبت فيه النهاية ثبت فيه الحدوث !!

قال الملحد: وما أنكرت أن تكون صورة التمرة والشجرة كامنة في النواة فلما وجدت ما شاكلها ظهرت؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال القاسم: إن هذا يوجب التجادل، وذلك أنَّا لو تتبعنا أجزاء النواة لم نجد فيها ما زعمت.

- شيء آخر وهو أنه لو جاز هذا جاز أن تكون الأشياء كامنة منه في صورة خنزير والحمار والكلب، فيكون الإنسان إنسانا في الظاهر كلبا حمارا خنزيرا في الباطن !!!

فإن قلت ذلك: لحقتَ بالطبائعية، فإن شئت تكلمنا فيه، على أنه قد ظهر من حمقهم لأهل العقول ما يرغبهم عن القول بمقالتهم.

قال الملحد: وكيف يجوز أن يكون الإنسان إنسانا في الظاهر، وكلبا وحمارا في الباطن؟، فإن بين التمرة والنخلة والنواة مشاكلة، وليس بين الإنسان والكلب مشاكلة؟

قال القاسم: لو كان بين النواة والتمرة والنخلة مشاكلة مع اختلاف التشريحات لجاز أن يكون بين الإنسان والكلب مشاكلة.

- ووجه آخر وهو أن الصورة لو كانت في الأصل نفسه لكان الأصل نفسه هو التمرة، إنما كانت من تمرة المصورات، وعرفت من غيرها بالصورة.

فعلى هذا يجب أن يكون أصلها تمرة، وهذا مكابرة للعقول، لأنه لو كان هذا كذلك لكان ظهورها في نواتها، ولعرف واشتهر وعم ولم يستحل وجود صورتين معا في حين واحد.

قال الملحد: إن النواة هي تمرة بالقوة الهيولية، أعني أنها إذا انتقلت لم تنتقل إلا إلى شجرتها، ثم إلى تمرتها ثم تعود إلى أصلها فتصير نواة في وسطها.

قال القاسم: لو كان هذا هكذا لكانت الطبيعة التي هي الأصل تمرة بالقوة، لأنها إذا انتقلت انتقالاتها صارت تمرة، وهذه مكابرة واضحة، وذلك يوجب عليك أن الأصل البحت تمرة، خوخة، باذنجان.....إلخ لأنه جائز عندك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الانتقال من صورة إلى صورة، وإذا كان حكم الأصول في الهيئات خلاف حكم الفروع فسنقول فيه قولا شافيا إن شاء الله.

قال الملحد: إن صح أن حكم الأصول في الهيئات حكم الفروع، تركت مذهبي، فإنه قد عظمت عليّ الشبهة في هذا الموضع.

قال القاسم: اعلم أن طُرُق العلم بالأشياء مختلفة، فمنها ما يُعرف بالحس، ومنها ما يعرف بالنفس، ومنها ما يعرف بالعقل، ومنها ما يعرف بالظن والحسبان:

1- فأما الذي يعرف بالحس فطرقه خمس: سمع وبصر وشم ولمس وذوق، فالسمع طريق الأصوات، والكلام والبصر طريق الألوان والهيئات، والذوق طريق الطعوم، والشم طريق الأرائح، واللمس طريق اللين والخشونة.

2- وما يعرف بالنفس: الخجل والوجد والسرور والحزن والصبر والجزع واللذة والكراهية، وما أشبه ذلك من التوهم وغيره.

3- وما يعرف بالعقل شيئان: أحدهما: ما يدرك بهيئته، مثل تحسين الحسن، وتقبيح القبيح، وحسن التفضل وشكر المنعم، ومثل تقبيح كفر المنعم والجور وما يجانسه من علم بدائه العقول، والوجه الثاني: هو الاستنباط والاستدلال الذي هو نتيجة العقول، كمعرفة الصانع، وعلم التعديل والتجوير، والعلم بحقائق الأشياء.

4- وما يعرف بالظن والحسبان: فهو القضاء على الشيء بغير دليل قطعي أو بالقياس علي غيره.

إنما لخصت لك هذا كله ليكون عونا لنا فيما سنعرض من كلامنا، ويكون أحد المقدمات التي نرجع إليها، فكل شيء من هذه العلوم لا يصاب إلا من طريقه، ولو حاولته من غير طريقه تعثر عليك وكُبِتَّ، كمن طلب علم الألوان بالسمع، وعلم الذوق بالعين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأما أحوال الأجسام فإن طريق المعرفة بها من جهة البصر، والبصر لا يؤدي من الرؤية إلا الأجسام لأن الأجسام لا يجوز أن يخلو من هذه الصفات فيتوهمه ويمثله في نفسه خاليا منها، فإذا لم يجز ذلك ثبت أن الأجسام لا تخلو من هذه الصفات وأنه لا يجوز حكم أصولها إلا كحكم فروعها.

قال الملحد: إنهم زعموا أن علة كون الأشياء وفسادها حركات الفلك وسير الكواكب، وبعضهم يقول: إن علتها تمازج الطبيعتين، أعني الظلمة والنور، وبعضهم يقول غير ذلك.

قال القاسم: الدليل على فساد قولهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾(النحل70)، وقوله: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾ (يّس: 68)

فلو كان علة كونه ما ذكروا، لكان الإنسان لا يتوفي أحد في طفولته، ولا يفسد كونه مع وجود علة كونه، اللهم إلا أن يقروا بحدوث علة الفساد فيكونوا حينئذ تاركين.

فإن قالوا: بل علة كونه وفساده قديم، فالشيء إذا كان فاسدا في حال كان فيه صالحا إذ عللهما موجودة، ومحال أن يكون عللهما موجودة ويتوفي هذا في الطفولية ويرد هذا إلى أرذل العمر، ويُنَكس هذا في الخلق أو يُعَمَّر. إن هذا لعمري لعكس العقول.

قال الملحد: لو لزمهم هذا للزمك، حين زعمت أن الله علة كون الأشياء وفسادها مثل ما ألزمت خصومك.

قال القاسم: لا سواء، وذلك أنَّا لا نزعم أن الله علة كون الأشياء وفسادها، بل نزعم أن الله هو الذي كَوَّن الشيء وأفسده، من غير ما اضطرار.

والدليل على أن الله عز وجل ليس بعلة ذلك، أن أفعاله مختلفة الأحوال، مستقلة الصفات فلو كان هو العلة ما زال شيء عن صنعه لأنه عز ذكره قديم،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والقديم لو كان علة شيء لم يزل معلوله، كما لم يزل هو في ذاته وفي زوال الأشياء، ما يدل على أن الله عز وجل ليس بعلة ولا معلول.

قال الملحد: بارك الله فيك وفيمن ولدك، فقد أوضحت ما كان ملتبسا عليَّ، وإن سألتك عن غيرها فإن أجبتني عنها كما أجبت أسلمتُ.

قال القاسم: إن أسلمتَ فخير لك، وإن أصررتَ فلن يضر الله إصرارك. سل عما بداك.

قال الملحد: ما الدلالة على أن صانع العالم واحد؟

قال القاسم: لو كان أكثر من واحد لم يخل من أن يكون كل واحد من الصانعين حيا قادرا، وليس كذلك، فإن كان كل واحد منهما حيا قادرا لم يكن محالا متى أراد هذا خلق شيء أن يمنعه الآخر من خلقه لذلك الشيء بعينه، ولو منعه صاحبه من ذلك الشيء كان الممنوع عاجزا وذلك عجزه على حدثه.

وإن تمانعا وتكافأت قواهما، وقع الفساد ولم يتم لواحد منهما خلق شيء، ودخل على كل منهما العجز، إذ لم يقدر كل واحد منهما على مراده، فلما وجدنا العالم منتظما منسق التدبير دلنا أن صانع ذلك ليس باثنين ولا فوق ذلك.

قال الملحد: ما أنكرت أن يتفقا ويصطلحا؟

قال القاسم: إن الاتفاق والاصطلاح يدلان على حدث من غيرهما، لأنهما لا يتفقان إلا عن صرفة والمضطر محدث لا محالة.

قال الملحد: إنهم يقولون إن صانع الخير لا يأتي بالشر أبدا، وكذلك صانع الشر لا يأتي بالخير أبدا.

قال القاسم: إن هذا مكابرة العقول

قال الملحد: كيف ذلك؟

قال القاسم: ذلك يدعو إلى القول: بأن أحدا لم يذنب قط ثم يعتذر من ذنبه، وإلى القول بأن إنسانا واحدا لم يكذب ولم يضل ولم يهتد !!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ألا ترى أنهم يزعمون أن استدلالهم حق وأنه واجب على الناس الرجوع إلى مذهبهم، فإن كان الشيء الواحد لا يأتي بالخير والشر فحدثني من يدعون مذهبهم !!

فإن قالوا: الخير، قيل: فإن الخير لا يضل أبدا.

وإن قالوا: الشر، فإن الشر لا يهتدي أبدا.

فليت شِعْري ما هذا الذي يدعونه إلى مذهبهم !!

قال الملحد: لَعَمْري لقد لطفت في الاستخراج على القوم، ولعمري إن هذا مما يقطع شغبهم، ولكنهم يقولون: لما كان في العلم خير وشر دلنا على أنهما من أصلين قديمين.

قال القاسم: أما وجود الخير والشر في العالم فإنا نجده، إلا أن هذا يدلنا على أن صانع العالم واحد، والدليل على ذلك: أن الخير والشر يبعثان على الخير والشر، ووجدناهما محدثين، وقد قدمنا الكلام في هذا المعنى بما فيه الكفاية، وبينا أن العالم أصله وفرعه محدث، وأن المحدث يقتفي المحدث.

وإن كان حكم فاعله كحكمه، أوجب ذلك حدوث صانع العالم ويقتضي المحدث، فإن كان هذا هكذا فلكل صانعٍ صانعٌ إلى ما لا نهاية، وقد بينا فساده آنفا.

** ووجه آخر وهو أن الخير والشر أمر اختلافهما يدل على قدمهما وليس اختلافهما بأكثر من اختلاف الصور والهيئات.

وقد قلنا إن اختلافهما يدل على قدمهما من خالف بينهما واخترعهما مختلفين، فلو كان الخير والشر مجتمعين في حيز واحد فلا يخلو حال اجتماعهما من أمور:

1- إما أن يكون اجتمعا بأنفسهما، أو جمعهما غيرهما. فإن كان اجتمعا بأنفسهما فمخالف ذلك أنهما ضدّان، والضدان لا يجتمعان بأنفسهما،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مع أنا نشاهد نفورهما، وفرار كل واحد منهما من صاحبه، فإذا فسد ذلك لم يبق إلا جامعا يجمعهما.

2- ووجه آخر وهو أنه لو كان وجود الخير والشر إلا على أن لهما أصلين قديمين، لكان وجود الصانع الأربع دالا على أن لها أصولا قديمة، وإذا كان هذا هكذا دلنا على أن شاهدا شاهد زور.

قال الملحد: فإذا لم يكن العالم قديما، ولا كان مزاج الاثنين، وكان صنعا من صانع قديم، فحدثني لم خلق الله هذا العالم؟

قال القاسم: إن هذا الكلام فرع من أصل، فإن سلمت لي الأصل كلمتك فيه، وإلا نازعتك في الأصل.

قال الملحد: وما ذلك الأصل؟

قال القاسم: هو أن تعلم بالدلائل أن العالم مُحْدَث وأن له مُحْدِثًا، ثم تعلم أن مُحْدِثَه واحد قديم، ثم تعلم أنه قادر، حي، حكيم في نفسه وفعله.

قال الملحد: قد دللت على الصانع وعلى أنه واحد، فما الدليل على أنه قادر حي حكيم؟

قال القاسم: الدليل على ذلك: أنَّا وجدنا الفعل واقعا، دلنا ذلك على أن صانعه حكيم عالم قادر حي.

قال الملحد: فهل وجدت الفاعل الحكيم لقادر سوى الإنسان؟

قال القاسم: لا

قال الملحد: أفتقول: إنه إنسان؟

قال القاسم: إني وإن لم أجد إلا إنسانا فلم يقع الفعل منه، إذ قد وجدنا إنسانا يتعذر عليه الفعل، فلما وجدنا متعذرا عليه دلنا ذلك على جواز وجود فاعل ليس بإنسان، ألا ترى أنا لما قلنا: إنه لا يجوز كون الفعل إلا من قادر حكيم جائز منه ذلك وكان قولنا فيه مستمرا ولم يستمر القول في ذلك لم نقل !!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الملحد: قد أبلغت في هذا فلترجع إن شئت إلى مسألتي.

قال القاسم: سل.

قال الملحد: لم خلق الله العالم؟

قال القاسم: قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (الملك: 2) وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذريات: 56) وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الجاثية: 13) فأخبرنا أنه خلقنا للعبادة والابتلاء، ليبلغ بنا إلى أرفع الدرجات وأعلى المراتب.

قال الملحد: فما دعاه إلى خلقنا ألحاجة خلق؟

قال القاسم: قولك: ما دعاه !!.. فمحال وذلك أنه لم يزل عالما بلا سهولة ولا غفلة.

- فقولك ما دعاه.. محال، لأن الدعاء والتنبيه والتذكير إنما يحتاج إليها الغافل، فأما الذي لا يجوز أن يغفل فمحال أن يدعوه شيء إلى شيء، إذ لا غفلة هنالك ولا سهو، والدلالة على ذلك أن الغفلة من الدلالة على الحدوث، وقد قامت الدلالة على أنه قديم.
- وأما قولك: ألحاجة خلق، فالحاجة أيضا من صفات المحدثين والقديم يتعالى عنها.

قال الملحد: فلم خلق؟

قال القاسم: أما قولك: لم خلق؟ فقد أجبتك، لأن قولك: لم؟ وقولي: لأن..إجابة !!

قال الملحد: فما وجه الحكمة في خلق العالم وخلق الممتحنين؟

قال القاسم: وجه الحكمة في ذلك: أنه إحسان، أو داع إلى الإحسان، وكل من أحسن أو دعى إلى إحسان فهو حكيم فيما يُصرفه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الملحد: وكيف يكون حكيما من خلق خلقا فآلمه بأنواع الآلام، وامتحنه بضروب من الامتحان؟ خبرني عن وجه الحكمة في ذلك؟

قال القاسم: أما قولك: كيف يكون حكيما من خلق خلقا فآلمه بأنواع الآلام؟... فوجه الحكمة في ذلك ما هو داع إلى الإحسان، من ذلك ضرب المؤدبين للصبيان، ومن الحجامة والفصد، وشرب الأدوية الكريهة، كل ذلك داعية إلى الإحسان، وإلى شيء حسن في العقل، فإن كان من الآلام في الشاهد ما هو كذلك فكل ما كونه الله من قبل، مثل الموت والمرض والعذاب وغيره حكمة في الصنع وصواب في التدبير، إذ كان كل ذلك داعية إلى الإحسان.

قال الملحد: ما الدليل على أن ذلك داعية إلى الإحسان؟

قال القاسم: الدليل على ذلك أنها أفعال حكيمة، وقد صح على أن الحكيم إنما يفعل هذه الأشياء التي هي الترغيب في السلامة والصحة والخير، والترهيب من الغم والشر والنِّقَم، ومن رغب في الخير فحكيم فيما نعرفه.

- وأما قولك: لم امتحن امتحانات غصب أكثرهم عندها؟

فإنا نقول في ذلك، ولا قوة إلا بالله: إن الله تعالى إنما امتحانه وأمره ونهيه وداعيه له من الحكمة فمن غصب فمن قِبَل نفسه، لأنه لم يأتمر بما أمر الله سبحانه، ولا انتهى عما نهاه، ولو كان انتهى عما نهاه الله عنه وركب ما أمره الله به، لكان يؤديه ذلك إلى الفوز العظيم فهو من قبل نفسه غصب، لا من قبل الله عز وجل.

ومثل ذلك فيما نعرفه أن حكيما من حكمائنا لو أعطى عبيدا له دراهم، وقال لهم: تاجروا، فإن ربحتم ولم تفسدوا فأنا معطيكم ما يكفيكم، وإن لم تفعلوا عاقبتكم، فأطاعه منهم قوم وعصاه آخرون، ولم ترجع اللائمة عليه بعصيانهم إياه، ولكنها لاحقة بهم حين عصوه، ولم يخرج بها سيدهم من الحكمة إذ لم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يدعهم به إلا إلى الإحسان، فلما كان ذلك كذلك، كان الله حكيما بامتحانه، وأمره ونهيه.

قال الملحد: إن الله يعلم ما هم صائرون إليه، ونحن لا نعلم ذلك؟

قال القاسم: إن الجهل والعلم لا يُحَسِّن الحسن، ولا يُقَبِّح القبيح، وذلك أنه لو كان حسنا لأن الآمر به يعلم أنه يفعله لكان ذلك قبيحا، إذا كان الأمر منا بما يصير إليه المأمور جاهلا، فلما لم يكن ذلك قبيحا، لجهل الآمر منا، لأنه إنما أمر بالحسن ودعا إلى الحسن، وإن كان جاهلا بما يصير إليه المأمور أو عالما.

*وشيء آخر وهو أنه لو كان الامتحان قبيحا إذا علم أنه يعصي لكان لا شيء أقبح من إعطاء العقل، لأنه إنما يعصي عند وجوده ويستحق المدح والذم به، فلما كان إعطاء العقل عند الأمم كلها مُوَحِّدها ومُلْحدها حسنا، دلّ ذلك بأن الامتحان والخلق والأمر بالحسن كله حسن، علم أنه يعصي أو يطيع.

قال الملحد: فلم مزج الخير بالشر؟ ولم صار واحد غني، وواحد فقير، وواحد قبيح، والآخر حسن؟

قال القاسم: لأن هذه الدار دار امتحان وبلاء، وحقيقة الامتحان هو أن يخلق فيه أو يأمره بشيء ثقيل على طاعته، فينظر هل يطيع أو لا يطيع؟.

ولو خلق الله ما هو خفيف على طباعه ثم أمره بالخفيف لكان ذلك لذة له وليس امتحانا، فلما كانت هذه الدار دار امتحان، وكان الواجب في صواب التدبير أن يمزج الخير بالشر، والنفع بالضر، والمكروه بالمحبوب، والحسنة بالسيئة، والكريه المنظر بالحسن في النظر، إذا كان الدار دار امتحان، لأنه لو كله محبوبا كان دار ثواب، ولو كان كله كريها، كان دار عقاب ودار الثواب والعقاب هذه صفتها.

واعلم أنه لو لم تعرف علل ذلك كان جائز، من ذلك أنه في بدء الأمر إذا أقمت الدلالة على أنه حكيم في نفسه وفعله، ثم دللت على أن الكل من أفعاله حكمة استغنيت عن معرفة علله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومثال ذلك من الشاهد: أنا لو هجمنا على آلات من آلات الصانع فرأينا اعوجاج المعوجات، واستواء المستويات، وصغر بعضها، وكبر بعضها، وغلظ بعضها، ورقة بعضها، فحكمنا على صانعها أنه غير حكيم، لكنا جاهلين بالحكمة، نضع الحكمة في غير موضعها، بل حينئذ الواجب علينا أن نسلم للحكماء حكمهم، ونعرف أنهم لا يفعلون شيئا من ذلك إلا لضرب من الحِكَم يعرفونه، ونعلم أن المعوج والمستوي وكل زوج فيها لا يصلح له الآخر، فحينئذ وضعنا الحكمة في موضعها. فاعرف ذلك وتبينه بحدة كما قلنا إن شاء الله.

فلما كانت أفعال الله كلها إحسانا، أو داعية إلى الإحسان كان تبارك وتعالى بفعلها كلها حكيما، إذ كل ذلك يحسن في العقل

فإن قلت: لم فعل الحسن في العقل؟

قيل: يفعل الحسن لحسنه، ولو لم يفعل الحسن في العقل لحسنه، كان لا يترك القبيح لقبحه في العقل وكفي بهذا القول قبحا.

قال الملحد: ما الدليل على أن الصانع له رسول؟

قال القاسم: الدليل على ذلك أن الصانع حكيم محسن إلى خلقه، وفي العقل أن شكر المنعم واجب فلما كان هذا في عقولنا واجبا وكان الله حكيما مُنْعِما على خلقه، كان من كمال النعمة أن أرسل إليهم الرسل، مع دلائل اضطرت العقول عندها لتبين لهم كيفية شكره، لأن كيفية شكره ليس مما يعلم العقل، ولا بالنفس ولا بالحس، ولا بالنظر، وإن كان في العقل جوازه وحينئذ أقام عندهم دلائل ومعجزات تدل على صدقهم.

قال الملحد: كأنك تقول إن شرائع الأنبياء خارجة عن العقول، إذ قلت: لا نعلم كيفيتها؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال القاسم: أما قولك: إن شرائع الأنبياء خارجة عن العقول إذ ليس فيها كيفيتها، فإني لم أقل لك: كيفيتها ليس فيها تكون بينة اشترطت لك، فقلت: إنه وإن لم يكن فيها كيفيتها ففيها جواز كونها.

قال الملحد: وكيف ذلك؟

قال القاسم: هو مثل ما نعرفه في الشاهد، وذلك لو أن سيدا أمر عبده ببناء دار، أو قطع شجرة، أو إعطاء عبد الله، أو ضرب زيد، فإنه ليس في العقل أن السيد يأمر به فإذا أمر به كان في العقل أن الائتمار به حسن وأن تركه قبيح، إذا كان لأمر سيده عاقبة محمودة ورجع نفع إلى العبد.

فالعقل يجوز الأمر فكل شيء على خياله، ولا يوجب شيئا من ذلك دون شيء إذا كان ذلك الأمر مما ينقل حاله في العقل وذلك أنه قد يكون الشيء إلى موضع ما حسنا في العقل إذا كان للشيء معنى حسن.

فأما اللواتي يدرك حكمها في العقل فقد أدركه بأن الأمر بها لا يأمره إلا بما هو حسن، ولا ينهى إلا عما هو قبيح عنده.

قال الملحد: فحدثني عن الصلاة والصيام، وغيرها من الشرائع هل لها أصل في العقل يفرع هذا منه؟

قال القاسم: أجل قد أخبرتك به آنفا، وهو كالأمر بالشيء إلى موضع ما، وكضرب زيد، وإعطاء عبد الله، ليس له أصل في العقل أكثر من الائتمار لأمر الحكيم، ووجه الحكمة فيه: أن الآمر إنما يأمر به لينظر هل يأتمر به المأمور فيجازيه ذلك، لاسيما إذا كان الآمر مستغنيا غير محتاج إلى ما يأمر به، وإنما يأمرهم ليمتحنهم، وليظهر بذلك أعمالهم فإن الأمر به حسن وعلى ذلك سبيل الشرائع كلها.

قال الملحد: خبرني عن كيفية معجزاتهم؟

قال القاسم: هو قلب العادات، وأن لا يترك العادات جارية على مجراها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذا جاء أحدهم وقال له قومه: ما الدلالة على كذا وكذا إلى كذا وكذا؟ فحينئذ يعرفون صدقه، وهذه سبيل المعجزات كلها، وبمثل ذلك نفرق بين النبي والمتنبي وبين الصادق والكاذب.

قال الملحد: فإنه بقي في قلبي شبهة، فأحب أن تقلعها بحسن رأيك ونظرك.

خبرني عن الله عز وجل، لم يميت الإنسان ويصيره ترابا بعد أن جعله ينطق بغرائب الحكمة، وبعد هذه الصورة العجيبة البديعة، ولم يفني العالم كله أرأيت لو أن إنسانا بنى بناء فنقضه لا لمعنى هل يكون حكيما؟

قال القاسم: ليس الأمر كما ظننته، أرأيت لو أن إنسانا بنى بناءً للشتاء، فلما جاء وقت الصيف نقضه وبنى للصيف هل يكون حكيما؟

قال الملحد: نعم

قال القاسم: ولم؟

قال الملحد: لأن الذي اتخذه للشتاء لا يصلح للصيف، وكذلك الذي اتخذه للصيف لا يصلح للشتاء.

قال القاسم: وكذلك الله عز وجل خلق الدنيا وما فيها للابتلاء، فإذا انتهى إلى أجله أفناها وبعثرها.

ثانيا: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (النجم 31)، ولا يكون ذلك خروجا من الحكمة، بل الحكمة أن لا يضيع الثواب والعقاب.

قال الملحد: إن التوحيد والتعديل والرسل قد تكلم فيه ناس من أهل العلل وكل يشك في الميت هل يحيى أو لا؟ وكل يجيء في ذلك بشيء فإن دللت على ثباته وكيفيته، لم يبق لي مسألة؟

قال القاسم: أما الدلالة على حياتها فإني قد وجدت الله تبارك وتعالى حكيما قد امتحن خلقه وأمرهم ونهاهم، وكان قول من يقول بإرادته الامتحان داعيا إلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإهمال، والإهمال داع إلى أن الله غير حكيم، وإذا جاز أن يكون العالم قديما لأنه لا فرق بين أن يفعل من ليس بحكيم هذا الصنيع العجيب، وبين أن يقع فعل الآمر ومحال موجودة فتكون قديمة أزلية لا فاعل لها.

ووجدت هذا القول داعيا إلى التجاهل فلما كان ذلك كذلك صح أن الله حكيم، والحكيم لا يهمل خلقه وإذا لم يهمل خلقه لم يكن بد من أمر ونهي، ولم يكن بد من مُؤتَمِر وغير مؤتمر.

وإذا كان من حكم العقل أن نفرق بين الولي والعدو، ووجدنا أعداءه وأولياءه مستوية الأحوال في الدنيا، لأنه كما أن في الأعداء من هو مؤثر صحيح، وفيهم من هو معسر مريض، وكذلك الأولياء فلما كانت في الدنيا أحوالهم مستوية ولم يكن بد من التفرقة بينهما، صح أن دارا أخري فيها نفرق بينهما، وفيها يحيون وفيها ينشرون، إذا قد وجدت هذه الحال قد اشتمل بالكل، الولي والعدو وذلك قوله عز وجل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (ص 28)

وأما قولك: أخبرني عن كيفيتها؟

فإن الله عز وجل جعل الروح لجسد الإنسان حياة له، كالأرض إذا اهتزت بالماء وتحركت بالنبات، كذلك الروح إذا صار في الإنسان صار حيا متحركا إذا امتزج أحدهما بصاحبه.

قال الملحد: وكيف تمتزج الروح بالبدن وقد صار ترابا؟

قال القاسم: وكيف يمتزج الماء بالأرض الهامدة، إذا صار محله يابسة؟

قال الملحد: هو أن تمطر عليها أو يجري فيها فتتصل أجزاء الأرض بأجزاء الماء بالمشاكلة التي بينهما فعندئذ تهتز وتتحرك.

قال القاسم: وكذلك الروح ترسل إلى ذلك التراب فتماسه وتمازجه، فحينئذ يحيا الإنسان ويتحرك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ألا ترى إلى بدء خلق الإنسان كيف كان؟ !! أوليس تعلم أنه كان ترابا فلما جمع الله بينه وبين روحه صار إنسانا، فأصل خلق الإنسان بذلك على آخره أولم تسمع قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس79)

قال الملحد: إنه ليس بين الروح والتراب مشاكلة فيما نعرف؟

قال القاسم: فهل تعلم بين النار والشجر الأخضر مشاكلة؟

قال الملحد: نعم، وهي أنها مجموعة من الطبائع الأربع، إحداهن النار وبين ثلاثتهن مشاكلة.

قال القاسم: الله أكبر هل تعلم بين النار وثلاثتهن مشاكلة؟

قال الملحد: لا.

قال القاسم: فكيف اجتمعن؟ إنه لما جاز أن تجتمع النار مع الماء والأرض والأهواء بلا مشاكلة بينهن، جاز للروح مثل ذلك.

قال الملحد حينئذ: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن كل ما جاء به حق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأختم برائعة من روائع الرد العلمي التي تهدم أصول الإلحاد وتأتي عليه من الجذور، حيث يقول أحد العلماء: " تقوم النظرة الغربية للكون والحياة على الإلحاد، حتى لو ادعى الكثيرون أنهم مؤمنون بالله، وذلك أنهم إما ينفون وجود المولى سبحانه وتعالى أو يشلون وجوده، فإلههم إما إله غائب أو مشلول، فهم يدورون بين إلحادين إلحاد نفي أو إلحاد تعطيل، وكلاهما إلحاد. [1]

أما الملحدون النفاة الذين ينكرون وجود الباري سبحانه، فيرون أن هذا الوجود بأجرامه ومخلوقاته وأحيائه إنما نشأ صدفة، ويمضى إلى غير غاية، ووصل لما وصل له بسلسة من الأفعال وردود الأفعال العشوائية. وهؤلاء هم الذين كانوا يسمون بالدهريين عند علماء المسلمين. فيقول جوليان هكسلي:

"لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير! فكذلك كان الكون الموجود الآن نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في (المادة) لبلايين السنين"[2].

ويعبر برتراند رسل الفيلسوف الملحد الشهير عن هذه النظرة اللاعقلية الموحشة البغيضة بقوله:

"والإنسان وليد عوامل ليست بذات أهداف، إن بدأه ونشوءه وأمانيه ومخاوفه وحبه وعقائده كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضي اتفاقي في نظام الذرة، والقبر ينهى حياة الإنسان. ولا تستطيع أية قوة إحياءه مرة أخرى. إن هذه المجهودات الطويلة والتضحيات والأفكار الجميلة والبطولات العبقرية كلها سوف تدفن تحت أنقاض الكون، ولو لم تكن هذه الأفكار قطعية فإنها أقرب

---

[1] هذا هو التقسيم السائد والمعروف للإلحاد عند كل الدارسين، ولا أعلم أحدا سبقني في التقسيم الذي ذهبت إليه للإلحاد.

[2] ينظر: الإسلام يتحدى (1 / 85)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما تكون إلى الحقيقة، حتى إن أية فلسفة تحاول إنكارها ستلقى فنائها تلقائياً".

ويعلق وحيد الدين خان على قول رسل بقوله: "ويكاد هذا الاقتباس أن يكون خلاصة الفكر المادي فالكون -في ضوء هذا الفكر المادي- يكاد يفقد أهدافه ولا يبقى غير الظلام الحالك؛ الظلام الذي تتلاشى فيه معايير الخير والشر حتى إن إبادة الناس بالقنابل لا تعد ظلماً لأنهم سوف يلقون حتفهم على أية حال يوما ما. أما الفكر الديني فهو فكر الضوء والأمل. الموت والحياة مرتبطان فيه بأهداف معينة وكل القيم والأفكار الإنسانية السامية تجد لها مكانا فيه" [1].

كذلك تأثرت الاتجاهات المادية اللا دينية أيما تأثر بنظرية دارون في النشوء والارتقاء، وإن كان دارون لم ينف وجود المولى سبحانه، ولكنه زعم أن تطور الإنسان من كائن وحيد الخلية بسيط إلى الإنسان الحالي لا يحتاج في تفسيره لافتراض وجود الله، حيث يقول: "إن تفسير الحياة بتدخل الله يكون بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت "!

وحيث يقول: "إن الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حد لقدرتها " [2] !

وأن هذا التطور تم عشوائياً، وأن البقاء كان للكائنات الأقوى أو الأقدر تكيفاً على البقاء، التي استطاعت البقاء عبر الصراع مع غيرها من الكائنات، والتكيف مع عوامل الطبيعة.

يقول الدكتور المسيري: "ويمكن القول بأن الداروينية هي النموذج المعرفي الكامن وراء معظم الفلسفات العلمانية الشاملة، إن لم يكن كله."

وقد يحاول بعض هؤلاء اللادينيين الدهريين أن يتجنب معاداة الدين، ولكنك لو سألته عن مرجعياته وعقائده، فلن تجد للباري سبحانه وتعالى أي وجود فيها.

---

(1) ينظر: الإسلام يتحدى (1 / 46 و47).

(2) ينظر: جاهلية القرن العشرين. ص 40.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالاتحاد السوفييتي السابق –وهو تجسيد اللادينية الشاملة– كان يزعم أنه يسمح بحرية الأديان، ويترك بعض المساجد تعمل للدعاية، وللدوران بالسياح عليها، رغم حربه الضروس على الدين عموماً والإسلام خصوصاً عقيدة وعملاً.

ولذلك يؤكد الدكتور عبد الوهاب المسيري –رحمه الله، وهو الماركسي السابق– على أهمية النظر لمرجعية أصحاب العلمانية الشاملة بغض النظر عن أقوالهم وأفعالهم. فيقول: "وفي تصوُّرنا أن أفضل طريقة لتناول قضية العلمانية والعلمنة هي قضية المرجعية (كامنة أم متجاوزة). فالعلمانية (الشاملة) قد لا تكون إلحادية أو معادية للإنسان على مستوى القول والنموذج المعلن (فهي قد لا تنكر وجود الخالق أو مركزية الإنسان في الكون أو القيم المطلقة، الإنسانية أو الأخلاقية أو الدينية، بشكل صريح ومباشر). ولكنها على المستوى النماذجي الفعال ومستوى المرجعية النهائية، تستبعد الإله، وأية مطلقات، من عملية الحصول على المعرفة ومن عملية صياغة المنظومات الأخلاقية، كما تستبعد الإنسان من مركز الكون بشراسة وبحدة وتنكر عليه مركزيته وحريته" (1)

وقد لاحظت شخصيًا أن العديد من الشيوعيين يتجنبون الحديث عن الدين تماماً، بل إن بعضهم قد يظهر احتراماً للدين أو يمارس بعض الشعائر، والبعض إذا أحرجته في النقاش يتهرب بأن النقاش حول الدين له المتخصصون فيه، لأنه يعلم أن الناس بطبيعتهم ينفرون من هذه المادية الكئيبة المنافية للفطرة.

وهذا ما يلفت الانتباه له الدكتور المسيري، حيث يقول عند كلامه عن أن العلمانية الجزئية ما هي إلا مرحلة في متتالية تؤدي للعلمانية الشاملة: "ومع هذا، تجب الإشارة إلى بعض الأفراد ممن يتبنون نماذج علمانية شاملة ويستخدمون

---

(1) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية– المجلد الأول: الإطار النظري– الجزء الرابع :العلمانية الشاملة– الباب التاسع: العلمانية الشاملة: تاريخ موجز وتعريف– العلمانية الشاملة: تعريف (1 / 214 و215).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ديباجات جزئية عن وعي وبدهاء مقصود، لأن الناس ينفرون بفطرتهم الإنسانية من العلمانية الشاملة بسبب وحشيتها وعدميتها" [1].

ولكني (الكلام للدكتور أيمن المصري) أقول للذين يرون أن هذا الكون قد وجد صدفة، بتفاعل بعض العناصر، التي كانت موجودة في ظروف معينة ونسب معينة وأزمنة معينة، وكذلك الحياة نشأت بتفاعل بعض العناصر في ظروف معينة فجاءت صدفة.

أقول له: إذا كان كل هذا قد وجد صدفة، فمن الذي أوجد الصدفة؟ من الذي أوجد العناصر اللازمة بالنسبة اللازمة في الأحوال الضرورية اللازمة في الأزمنة اللازمة بالحركات اللازمة بالشروط اللازمة لتلك الصدفة؟

إن قال: لا أعلم. قلنا له: فلم علمت أن الكون قد وجد صدفة؟

وإن قال: إنما أوجد الصدفة صدفة قبلها. قلنا له: نحن في حاجة لعدد ضخم من الصدف، فكل عنصر من العناصر نشأ صدفة، وكذلك الظروف الضرورية من الحرارة والضغط والحركة والمكان والزمان والسرعة واتجاه السير... إلخ كل منها أوجدته صدفة، ثم جاءت صدفة فجمعت كل هذه الصدف، ثم جاءت صدفة أخرى فجعلتها تتفاعل مع بعضها؟

ثم لا بد أن تتسلسل الأسئلة: فمن أوجد صدفة الصدفة؟ ومن أوجد صدفة صدفة الصدفة؟ في عبث لا متناهي من الضلال. تتميز به الحضارة الغربية الصليبية المعاصرة، التي تزعم تقديس العقل، بينما هي في حقيقة أمرها تلهث مسعورة وراء أهوائها ورغباتها.

---

(1) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع: العلمانية الشاملة- الباب الأول: إشكالية تعريف العلمانية- إشكالية العلمانيتين: علمانية جزئية وعلمانية شاملة (1 / 126).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم نقول له: نحن لم نسألك -فقط- كيف توفرت ظروف الصدفة؟ ولكن نسألك -أيضاً وبإلحاح- من أنشأ الصدفة؟ من هو المتسبب في إيجادها؟ أتلكم العناصر والظروف التي وفرت الصدفة أوجدت نفسها؟ أم أوجدها موجد غيرها؟ وصدق الله العظيم: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.

وبنفس المنطق يقال لأمثال جوليان هكسلي صاحب مثال القردة الستة والآلة الكاتبة؛ من الذي أوجد القردة الستة؟ ومن الذي أوجد الآلة الكاتبة؟ ومن الذي جمعهم في مكان واحد؟ ومن الذي مد في عمر القردة لبلايين السنين؟ ومن الذي منح الآلة الكاتبة الصلابة حتى تستمر في العمل لبلايين السنين؟ دون أن تتلف أو تحتاج لصيانة أوتبلى أو تنبري من شدة الطرق عليها؟ ومن الذي أمدها بالورق؟ وأدخله فيها؟ ومن الذي أمدها بالحبر؟ وداوم على إمدادها به؟ ومن الذي أجبر القردة على البقاء يطرقون على الآلة الكاتبة لملايين السنين دون أن يملوا ويفروا؟ هل كان معهم مراقب يجبرهم على العمل المتواصل؟ ومن هو؟

ثم إذا كان العمل لمدة ملايين السنين قد أنتج قصيدة واحدة أو احتمال قصيدة -في زعمك- لشكسبير، فكم من الزمن سيحتاج لإنتاج كل قصائده؟ وكم من الزمن يلزم لإنتاج كل قصائد الشعراء الإنجليز؟ وكم من الزمن يلزم لإنتاج شعر كل شعراء الدنيا؟ وكم من الزمن يلزم لإنتاج كل الأدب في الدنيا؟ وكم؟ وكم؟ وكم؟

ثم إذا كنت تقول إن بلايين النسخ التي لا معنى لها وجدت من بينها ورقة واحدة فيها قصيدة لشكسبير، فيلزم من كلامك أن إنتاج عالم واحد بالصدفة لا بد أن يصاحبه بلايين العوالم وبلايين المخلوقات المعطوبة الفاسدة المحطمة، وأن بلايين النسخ الفاسدة هذه هي الغالبة الطاغية، فأين هي؟؟ وصدق الله وكذبتَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

ثم يقال لمن قال إن العالم حدث ويجري بالصدفة وبطريقة آلية: أنت أولى أن يقال لك إن ما تزعمه نظريات عميقة وأفكاراً رصينةً ليست إلا مجرد أصوات صدرت من فمك، أو حروف على ورق تجمعت بالصدفة فظهرت كما تنطقها، أو تكتبها، وحقيقتها عبث لا فائدة منه ولا هدف ولا غاية، ولم تقصدها، بل والأفكار التي في رأسك ما هي إلا مجموعة من التفاعلات الكيماوية العشوائية الآلية حدثت في خلايا الدماغ العصبية بطريق الصدفة، فأنتجت هذا الهراء.

أفهذا الكون المحكم الصنع المحير المبهر حدث صدفة؟ وأنت فكرك رصين مقصود، نشأ عن نظر متأن وقواعد محكمة ومقدمات يقينية ونتائج لازمة، وهو فكر ذو غاية وهدف يسبر أغوار الحقيقة! لماذا يكون فكرك استثناءً عن الكون؟

ثم نقول له: لو افترضنا أنك اكتشفت يد لص، وقد اندست في جيبك، فأمسكت بها وبه متلبساً بجريمة السرقة، ثم لما علم اللص أنك من المجادلين بالصدفة، قال لك: إنما دخلت يدي لجيبك بالصدفة. فماذا أنت قائل له؟ هل تقول له: مرحباً بأخي في العقيدة؟ أم تسوقه للشرطة؟ وإذا سألك سائل: لماذا تسوقه للشرطة؟ فماذا أنت قائل له؟ أفتقول له: لكي تأخذ العدالة مجراها من هذا اللص الأثيم، الذي لا يعرف خلقاً ولا قيماً. فأية عدالة وأي خلق وأية قيم هذه؟

العدالة تتطلب حقاً مسلوباً لتوصله لمستحقه، فما هو الحق؟ وما هو المستحق؟ في عالم كله صدفة في صدفة وعبث في عبث.

ثم إن العدالة تتطلب شريعة تنفذها، والشريعة تتطلب أخلاقاً وقيماً تنتجها، فأي أخلاق وأية قيم إذا كان كل شيء خبط عشواء وصدفة، وليس هناك قيمة ولا مرجعية عندك إلا واقعك الذي حدث بالصدفة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد يماحك عبد الصدفة فيقول: إن الشريعة والأخلاق هي ما اتفق عليه العقلاء. فهذه إجابة تثير أسئلة أكثر، منها على سبيل الإيجاز؛ على ماذا اتفق العقلاء؟ هل اتفقوا على خلق العالم بالصدفة؟ ثم كيف يتفقون؟ بالإجماع أم بأغلبية الناخبين الديمقراطية؟ لو كان الأمر بالديمقراطية فمعنى هذا أن ذلك اللص الذي ذكرناه، لو كان معه ثلاثة آخرون وقابلوا عبد الصدفة في صحراء ليس فيها غيرهم، فمن حقهم أن يسلبوه ماله، وربما ملابسه أيضاً، وحينئذ سيعدونها من محاسن الصدف، أو رب صدفة خير من ألف ميعاد!!

ثم إن العدالة تتطلب فصلاً بين الخصومات، وهذا يتطلب سلطة محايدة لا تتأثر بالأهواء والنزعات ولا الميول لتفصل بين الموجودات، ولا يتحقق ذلك إلا في المولى سبحانه وتعالى المنزه عن النقائص.

ثم إن الحكم على الشيء -كما يقولون- فرع عن تصوره، ولذا لا يمكن للحاكم أن يحكم في قضية إلا إذا تصورها، وكلما كان تصوره أقرب للحقيقة كلما اقترب حكمه من الصواب، والعكس بالعكس، وحيث أن الإنسان -باتفاق الملحدين والمؤمنين- يجهل عن نفسه بل وعن سائر الكون-بأضعاف رهيبة- أكثر مما يعلم، لذا فإن القادر الوحيد على الحكم الصحيح هو المولى سبحانه وتعالى. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [1]

"2" وكذلك أقول لمن يقول إن هذا الوجود والحياة نشئا بلا هدف ولا غاية، له: أنت أيضاً كلامك هذا -الذي هو جزء من هذا الوجود- يلزمك أن يكون عبثاً بلا غاية ولا قصد، وليس برأي حكيم ولا نظرية متماسكة، بل عبث وهراء بغير قصد ولا هدف؟

([1]) للمزيد من التفصيل في الرد على القول بتكون العالم بالصدفة: الإسلام يتحدى (1/ 84 وما بعدها)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم لماذا نراك متحمساً تضيع عمرك ووقتك في الدفاع عن نظرياتك ونشرها والرد على مخالفيها؟ إن كان الأمر كله عبث في عبث. لم لا تدع مخالفيك يعبثون مع العابثين؟

ولذلك يعلق الدكتور المسيري على فلاسفة العبث وما بعد الحداثة بقوله: "ولكن كيف تأتَّى لفلاسفة ما بعد الحداثة أن يدركوا غياب المرجعية والمعيارية وهيمنة القوة وسيطرة الصيرورة دون الاستناد إلى مرجعية ما ومعيارية ما ومعرفة بعالم عادل فيه كليات ثابتة؟ وكيف يكتبون وهم يعرفون أنهم لن يصلوا إلى شيء؟ لم لا يحجمون عن الكتابة والتفكير وكتابة المجلدات الفلسفية المعقدة؟ أليس من الأجدى لهم أن يبقوا في عالم الصيرورة الأكيدة الحسية ويحتسوا أفخر الخمور ويضاجعوا أجمل النساء والغلمان كما فعل الرومان في أواخر أيام الإمبراطورية، وكما يفعل الوثنيون العدميون عندما يشعرون بالعدمية تُطبق عليهم؟ ففي الخمر والنساء صيرورة ويقين الغياب والعدم. لا يُوجَد رد على هذا داخل النظام ما بعد الحداثي وإن كان دريدا قد حاول مرة الإجابة بقوله بأنه يعترف بأنه يقف داخل النظام الميتافيزيقي ويدرك هذا، أما الآخرون فيقفون في نظمهم الميتافيزيقية ولا يدركون هذه الحقيقة. وهذا هراء إذ تظل المشكلة قائمة: لم الكتابة المضنية إذن، وسهر الليالي، بدلاً من الصيرورة السهلة والانزلاق المستمر؟ من أجل مَنْ كل هذا العناء وكل هذه المعاناة؟" (1)

وأزيد على قول الدكتور المسيري رحمه الله؛ أن هذا الانزلاق للملذات الشهوانية هو حالهم، أو هو ما يؤولون له، وهو ما يبتغونه.

ولذلك شهد عليهم الدكتور المسيري شهادة الشاهد الخبير المعاين حين قال في كتابه (رحلتي الفكرية- الجذور والبذور والثمر): "كنت قد بدأت ألاحظ أن

---

(1) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية- المجلد الأول: الإطار النظري- الجزء الرابع: العلمانية الشاملة- الباب السابع: الثنائية الصلبة والسيولة الشاملة وما بعد الحداثة- ما بعد الحداثة- المقولات الأساسية لرؤية دعاة ما بعد الحداثة (1 / 177).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السلوك الشخصي للرفاق كان متناقضاً مع أي نوع من أنواع المثاليات الدينية أو الإنسانية، وأن كمية النرجسية عند بعضهم كانت ضخمة للغاية. وأنا لا أمانع في وجود قدر من النرجسية عند البشر، فهذا أمر أساسي بالنسبة لهم، وخصوصا بالنسبة للثائر، فالنرجسية آلية نفسية يدافع من خلالها عن نفسه ضد مجتمع يود ابتلاعه. ولكن النرجسية التي لاحظتها في كثير من الرفاق كانت بالفعل متطرفة، والحريات الخلقية التي كانوا يسمحون لأنفسهم بها كانت كاملة، أي أنهم في واقع الأمر كانوا شخصيات نيتشوية داروينية، لا علاقة لها بالماركسية ولا بأي منظومة أخلاقية، خاصة أن بعضهم كانت ماركسيته تنبع من حقد طبقي أعمى وليس من إيمان بضرورة إقامة العدل في الأرض. بل كثيراً ما كنت أشعر أن بعضهم كان ماركسياً بحكم وضعه الطبقي وأنه لو سنحت الفرصة أمامه للفرار من طبقته والانضمام للطبقات المستغلة الظالمة لفعل دون تردد وطلق ماركسيته طلاقا بائناً. لكل هذا قدمت استقالتي" (1)

"3" وكذلك الذين يقولون إن الإنسان نشأ تبعًا لنظرية النشوء والارتقاء من كائنات بسيطة تطورت بلا هدف ولا غاية ولا إرادة حتى وصلت للإنسان الحالي.

أقول وأسألهم: لو أن هناك كائنات تطورت من بعضها، فهل هي طورت نفسها؟ أم هناك من طورها؟ ومن هو؟

ولو أن مصنعًا مشهورًا ينتج كل سنة طرازًا جديدًا من منتج معين (سيارة- حاسوب- مذياع..)، وعادة يكون بين الطرز المتتالية تشابه، كما أن المصنع يضع شعاره على كل طراز، فهل يمكن أن يكون التشابه بين الطرز المتتالية دليلاً على أن كل طراز قد نشأ وتطور من الطراز الذي قبله، أم يكون دليلاً على أن جهة الإنتاج واحدة؟

---

(1) ينظر: بل هي حرب على الإسلام ص 184.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم لو جاء أفاق محتال لصاحب ذلك المصنع، فخاصمه أمام المحكمة بألا حق له في احتكار هذه المنتجات والاستئثار بفوائدها التجارية والقانونية، لأن هذه المنتجات نشأت بفعل تلاطم وتصادم عوامل عديدة خبط عشواء بلا ترتيب ولا قصد ولا غاية ولا سعي حثيث ولا إرادة في إنتاجها، وبالتالي فإن نسبتها لذلك المصنع وصاحبه وعدمها سواء، كما أن عدم نسبتها للمحتال الأفاق ونسبتها سواء، فهل يمكن أن تقبل دعوى ذلك المحتال الأفاق أمام أي قاض، حتى لو كان ذلك القاضي ملحداً مادياً متعصباً لنظرية دارون في النشوء والارتقاء.

ثم السؤال الأهم؛ أليس المولى -سبحانه وتعالى- بقادر على أن يخلق آدم في الجنة، ثم ينزله للدنيا في أي وقت يشاء، سواء تطورت الكائنات أم لم تتطور؟

إذن القضية المحورية بيننا وبينكم هي في المولى سبحانه وتعالى، الذي تنكرون وجوده، أو تعطلون صفاته.

هذه هي القضية، وهي قضية البشرية في صراع الإسلام والكفر من بدايتها لنهايتها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة

وبعد أَنِ استبانت الحقائق، وتجلَّت الدقائق، وانتشيْنا من عبقِهما، الحلول الواقية والعلاج، حامدين الله –سبحانه– في السُّرى والإدْلاج، نُنِيخُ الآن مطايانا بأهم النتائج وبعض التوصيات:

أولا: أهم النتائج:

1- أصل الإلحاد في كلام العرب: الميل عن القصد، العُدُول عن الاستقامة.

2- كلمة الإلحاد جاءت في القرآن بمعنى الشرك والتكذيب

3- سجل القرآن الكريم معالم الإلحاد الأولى وحكاها تفصيلا وتحذيرا فإبليس الملعون هو أبو الملحدين.

4- فلاسفة اليونان والإغريق هم من أسسوا لمنهج الشك الإلحادي، فكانوا يشُكُّون في الثوابت والمسَلَّمات، شك من أجل الشك

5- الإلحاد عمليا بدأه إبليس لكنه لم يُسَمَّى إلحادا بل سمي: كُفرا، وفسوقا، وإباءً لأمر الله تعالى، واستكبارا، وضلالا وسمي فيما بعد زندقة وإلحادا.

6- الإلحاد يطلق كوصف لأي موقف فكري لشخص لا يؤمن بوجود إله.

7- للإلحاد أنواع عديدة منها (إلحاد التكبر وإلحاد الإشراك وإلحاد الفكر وإلحاد العقل وإلحاد الجهل والرياء).

8- الإلحاد المعاصر يمكن حصر بواعثه في انتشار الفكر العلماني وتخطيطات المحافل الماسونية.

9- الإلحاد المعاصر في بلاد الإسلام يمكن تفسيره على أنه الموجة الثانية للفصل بين الإسلام والحياة بعد فشل المحاولة الأولى التي حاول بعض المستغربين استيرادها من النموذج الأوروبي من خلال العلمانية والليبرالية التي انتشرت بعد الثورة الصناعية.

10- الملحد إنسان تائه يحتاج لمن يرشده إلى الصواب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

11- عقائد الملحدين يمكن اختزالها في كلمة واحدة (الانحلال).

12- الإلحاد مرض يحتاج إلى وقاية وعلاج، كباقي الأمراض.

ثانيا: أهم التوصيات:

1- توعية أفراد المجتمع بأهمية العقيدة الإسلامية، وحثهم على التمسك بها قلبا وقالبا وعدم التنازل عن ثوابتها أبدا.

2- استنهاض همم العلماء الربانيين والدعاة المخلصين للقيام بدورهم الراشد في تحصين الأمة من الأفكار المنحرفة والآراء المتطرفة والرد على أصحابها بالأدلة النقلية والعقلية.

3- أهمية قيام الأسرة بدورها الرائد في التربية، والحفاظ على النشء من التيارات الفكرية المنحرفة، والآراء الشاذة.

4- التركيز على القضايا الفكرية والعلمية في الخطب والمحاضرات الدينية.

5- قيام طلاب العلم وحملته بدورهم المنوط بهم، وإحساسهم بحجم المسئولية العظيمة التي حملوها للحفاظ على المجتمع والنهوض به.

6- إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أفراد المجتمع، وتحمل تبعاتها مهما تكلف الأمر.

وبعد؛ فهذا آخر كلامي، كتبته وأنا أعلم أني

أموت ويبقى ما كتبته فيا ليت من يقرأ كتابي دعا لِيَا

لعل الإله يمن بلطفه ويرحم تقصيري وسوء فِعَالِيَا

اللهم إني أسألك عفوك وجودك وحلمك وكرمك يا رب العالمين

كتبه الطامع في عفو ربه الكريم

أحمد بن خالد الطحان

مكة المكرمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قائمة الموضوعات

خطة البحث.....6
التمهيد: تحرير معنى الإلحاد 8
المطلب الأول: تعريف الإلحاد 8
المطلب الثاني: فوائد من التعريف.....9
المبحث الأول: أنواع الإلحاد 17
المطلب الأول: إلحاد التكبر.....19
المطلب الثاني: إلحاد الإشراك 24
المطلب الثالث: إلحاد الفكر.....28
المطلب الرابع: إلحاد العقل 30
المطلب الخامس: إلحاد الجهل والرياء.....37
المبحث الثاني: الإلحاد المعاصر وبواعثه 38
المطلب الأول: العلمانية والإلحاد.....38
المطلب الثاني: الماسونية والإلحاد 62
المبحث الثالث: عقائد الملحدين 70
المطلب الثاني: أركان الإلحاد الأساسية.....75
المبحث الرابع: أساسيات مواجهة الإلحاد.....77
المطلب الأول: الوقاية من الإلحاد 77
المطلب الثاني: أساسيات الرد على الملحدين 80
الخاتمة 112
قائمة الموضوعات 114